

1436 هـ - 2015 م

خوارج العصر

(نشأتهم، صفاتهم، مسائلهم، حالهم، مآلهم، قتالهم، العصمة منهم)

أعدّه
أبو مريم الأزدي
أحمد بن عبد الله بن صالح الزهراني

خوارج العصر

(نشأتهم، صفاتهم، مسائلهم، حالهم، مآلهم، قتالهم، العصمة منهم)

أعدّه

أبو مريم الأزدي

أحمد بن عبد الله بن صالح الزهراني

إضاءة[1]

"من المعروف في سنن الاجتماع أن كل طائفة كثر سوادها، لا بد أن يوجد فيها الأصيل والدخيل والمعتدل والمتطرف والغالي والمتسامح وقد وجد بالاستقراء أن صوت الغالي أقوى صدى وأعظم استجابة؛ لأن التوسط منزلة الاعتدال، ومن يحرص عليه قليل في كل عصر ومصر، وأما الغلو فمشرب الأكثر ورغيبة السواد الأعظم وعليه درجت طوائف الفرق والنحل، فحاولت الاستئثار بالذكرى، والتفرد بالدعوى ولم تجد لاستتباع الناس لها إلا الغلو بنفسها وذلك بالحط من غيرها والإيقاع بسواها حسبما تسنح لها الفرص وتساعدها الأقدار إن كان بالسنان أو باللسان" .

(1) جمال الدين القاسمي ـــرحمه اللهـــ ، كتاب (الجرح والتعديل).

وقد استفدته من مقال الشيخ المقدسي (الغلو يمحق البركات، والرفق ما كان في شيء إلا زانه) فجزاه الله خير الجزاء .

بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله، وبعد :

فقد كثر الخوارج في هذا العصر، وكثر الحديث عنهم في مجالس أهل الإسلام، ووسائل الإعلام.

وقد عاصرت بعضهم في خراسان، وسمعت منهم وعنهم، واعترف بعض طلبة العلم والقادة بوجودهم بينهم في العراق والشام[١]، وبما أن أوائلهم خرجوا _سنة 1965_ من رحم الصحوة (عفوياً)، ومَن بعدهم _وهم الأكثر_ من تحت عباءة الإستخبارات(صناعةً)، والتيار الجهادي (تفريطاً وإهمالاً وغفلةً)[٢] = رأيت أن أجمع فيهم ما كتبه قادة الجهاد وشيوخه ومنظريه، وذلك لكونه _مع قلته_ أوجب وأطيب، وأنقى وأصفى، وأقوى وأنكى !

ومشايخنا _ بفضل الله_ إن تكلموا وكتبوا، فبعلم وواقع وتجربة، ولذلك كانت كتاباتهم_في القوم_ بالمنزلة التي ذكرت .

---

(١) أنظر رسالة الشيخ المقدسي (بيان حال " الدولة الإسلامية في العراق والشام " والموقف الواجب تجاهها) . أصلح الله حالنا ولطف بنا _آمين_ .

(٢) بخصوص الإستخبارات، أنظر للأستاذ أبي مصعب السوري : كتاب دعوة المقاومة (الفصل الخامس، الصحوة الشاذة وتيار التكفير)، و(الفصل السادس، عند الحديث عن تجربة الجزائر)، وكتاب (مختصر شهادتي على الجزائر)، وسلسلة الجهاد هو الحل (ش21)، وسلسلة سرايا المقاومة الإسلامية العالمية "المرئية" (ش 13)، وسلسلة مقابلة مع صحيفة الرأي الكويتية، (الشريط العاشر، الدقيقة التاسعة) .

وبخصوص التيار الجهادي، أنظر : كتاب دعوة المقاومة (الجزء الأول، نهاية الفصل السابع، الأخطاء والخلل في مسار التيار الجهادي، الخطأ الأول)، وسلسلة الجهاد هو الحل (ش 24 / د 29) وما بعده، وسلسلة سرايا المقاومة الإسلامية العالمية "المرئية" (ش14) وما بعده، وسلسلة مقابلة مع صحيفة الرأي الكويتية، (الشريط العاشر/ د 14)، وسلسلة شرح كتاب حرب المستضعفين، (الشريط الثالث/ د 30)، وسلسلة واقع المسلمين الأزمة والمخرج (ش 8 / د 13) .

وأنبه هنا إلى أن كل واحد من هذه المراجع، فيه ما ليس في غيره، من التفصيل والأمثلة .

يقول الشيخ عطية الله في رسالة (جواب سؤال في جهاد الدفع) :" وقد جربناهم وجربهم الناسُ في بلدان كثيرة ".

ويقول الشيخ المقدسي (مقابلة نداء الإسلام) :" كانت لي جولات ومواجهات مع بعض غلاة المكفّرة" .

ويقول الشيخ أبو قتادة في مقال (بين منهجين "٤٠") :" ولقد رأينا قسما من هؤلاء فوجدناهم من أرذل الناس خلقاً، وأفسد الناس نيةً، وعامتهم يغلب عليهم التقية ...".

وإذا تقرر هذا ، فلا بد من التذكير بعدة نقاط مهمة، ينبغي تذكرها واستصحابها أثناء قراءة هذه الرسالة (١) :

الأولى : أن "مصلحة التوحيد والجهاد تعلو ولا يعلى عليها".

الثانية : أن الكتابة في مثل هذا الموضوع كانت وما زالت "ضرورة وحتماً" ، إذ كيف يسعنا السكوت عن مثل هذه الجهالات وإقرارها؟ ليتخذها المخالفون غرضاً يوجهون سهامهم إلى التوحيد والجهاد من خلالها؛ فالواجب كان ولا يزال التبري من هذه الترهات واستئصالها" .

الثالثة : أنَّ "أعرَف الناس بهذا التيار وما ينفعه ويسدده، وما يضره و يحرفه ويعوّقه= هم أهله وأبناؤه الذين يحملون أثقاله وتؤرقهم همومه".

الرابعة :"لن نرضى أن يناقشنا خصومنا عند المحاجة بأقوال وأفعال هؤلاء، أويحمّلونا مسؤولية تخبّطاتهم، ولن نسمح لهم أن يلزمونا بإطلاقاتهم، فهم يحاولون ذلك دوماً ويستغلّونه كما يستغلّه كل مشوّه لهذا الدين؛ يعرف ذلك كل من

(١) مستفادة من مقال الشيخ المقدسي (عندما نكتب) .

خاض غمار التصدي للمخالفين وسعى في رد شبهات الشانئين، ولذلك فنحن لا نتحرج في مثل هذه الأحوال أو غيرها من التبري من باطل هؤلاء وأخطائهم وإعلان هذه البراءة على رؤوس الناس، فهذا ما تعلمناه من نبينا صلى الله عليه وسلم حين كان يعلن براءته من أخطاء من هم خير منهم ومنا".

الخامسة : " نحن نعلم في غمرة تصدينا لأمثال هؤلاء وتنقية المنهاج من تخليطاتهم أن هناك من يراقب المشهد من بعيد أو من قريب، فيحاول جاهداً بخبث ومكر خلط الأوراق، وحرف الكلم عن مواضعه وتوجيهه لمن يريد هو لا من نريد نحن، ويمارس هذا التلبيس والتدليس ويصنع ذلك الدجل والكذب طوائف كثيرون سواء من أنصار الطواغيت أو من إعلامهم وصحافتهم، ومشايخهم أو من خصومنا المتربصين بنا من أهل الغلو أو من أهل التجهم والإرجاء، فلهؤلاء ولؤلئك نصرّح ونقول: اعلموا يا أعداء أنفسكم أن أمثال هذه الكلمات إنما نوجّهها للضرورة لمن ذكرنا ووصفنا وحدّدنا من البطّالين . لا نوجهها لإخواننا المجاهدين الأتقياء الأنقياء في المغرب أو في المشرق، وفوق جبال الأفغان أو في الصومال والشيشان، وفي العراق أو في فلسطين أو فوق أي أرض يجاهد فيها في سبيل الله، كلامنا هذا لا نوجّهه لمجاهد يرفع راية التوحيد حيث كان، كلا وحاشا فهؤلاء هم ساداتنا الذين نفاخر بهم؛ هم قادتنا وعلماؤنا هم خيارنا ومُصْطَفَوْنا لأنهم ينصرون الدين في زمن الغربة بمداد دمائهم وأرواحهم (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا) .

ولولا هُمُو كادت تميدُ بأهلها ... ولكن رواسيها وأوتادها همُ

ولولا هُمُو كانت ظلاماً بأهلها ... ولكن هُمُو فيها بدورٌ وأنجُمُ

أولئكَ أصْحَابي فحَيَّ هَلًا بِهِمْ .....وحَيَّ هَلًا بالطيِّبينَ وأنعِمْ ". ا.هـ

وأخيراً أنبه إلى أنيّ لا أقصد من هذه الرسالة إلاّ من خبرته وسمعت منه، ومن اعترف بوجوده طلبة العلم والقادة في العراق والشام، ومن تواتر أمره وخبره، ونقل عنه الثقات العدول، أما غير ذلك من التعميم والظن؛ فلا، والله وحده الموفق .

أبو مريم الأزدي (*)

شوال – ١٤٣٥ هـ

(*) **تنبيه** : العبد الفقير، كاتب هذه السطور، ليس من القيادة في خراسان، ولا من اللجنة الشرعية، أما المشيخة والإفتاء فهي _والله_ بعيدة عنه ، وما هو إلا "مُحب" !

محب للجهاد وأهله، وللعلم وأهله .

عَنْ أَبِي مُوسَى قالَ: قِيلَ للنبيِّ – صلى الله عليه وسلم –: الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قالَ: "المرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ".

أسأل الله أن يلطف بنا، ويصلح حالنا ، وأن لا يخزنا يوم يبعثون _آمين_

-1-

نشأتهم[١]

"سقطت الخلافة العثمانية عام 1924 رسميا بعد أن بدأت مرحلة الذبول منذ مطلع القرن التاسع عشر وماتت فعليا مع مطلع القرن العشرين، وكانت الدول الصليبية قد قصمتها من أطرافها ثم تقاسمت إرثها لما أعلن هذا السقوط.

كانت بوادر صحوة إسلامية قد بدأت تولد منذ أواسط القرن الثامن عشر، وقد حاول بعض روادها ترميم الدولة العثمانية وإصلاحها والتعاون مع صلحائها والتوجهات الحثيثة للسلطان عبد الحميد في الإصلاح، ولكن لم يكن للعطار أن يصلح ما أفسد الدهر، فسقطت الدولة وبدأت مرحلة الإستعمار وغابت الخلافة منذ ذلك الحين أي قبل ٧٩ سنة، فحصل ردة فعل في العالم الإسلامي على هذا الزلزال، تمخضت عن ميلاد صحوة إسلامية مختلفة المشارب والأهداف تسعى كلها في النهاية إلى إعادة الخلافة واستعادة الحكم الإسلامي والنهضة الإسلامية ... [و]نتيجة صدامات مختلف مدارس الصحوة مع طواغيت العرب والعجم من حكام بلاد المسلمين، ولد في تلك الظروف المأساوية تيار منحرف شاذ تمثل فيما عرف بتيار التكفير، أو التكفير والهجرة كما أسمته وسائل الإعلام، وقد ولد ابتداء في مصر ولكن وجدت له بذور في كل بيئة شابهت معطياتها الفترة التي ولد بها هناك.

---

(١) أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة (الجزء الأول، الفصل الخامس، مختصر مسار الصحوة) . باختصار وتصرف.

فقد جاهر معظم الحكام بمختلف ألوان الكفر والردة من الحكم والتشريع بغير ما أنزل الله إلى ولاء الكافرين إلى غير ذلك من تبعات ذلك، واتخذ هؤلاء الحكام لهم شرطة وأعواناً وأجهزة استخبارات وأمن وبطش، وأقامت الحكومات السجون وقاعات التعذيب بلا حسيب ولا رقيب، كما أقام كل حاكم إلى جانبه عكازاً من الكهان والسحرة يشهد عليه بمراتب الإسلام والإيمان والإحسان وعلى نظامه بالشرعية، ويسبغ عليه ما لولي الأمر الشرعي من الحقوق، فيما جنحت كثير من رموز الصحوة السياسية وغير السياسية إلى المداهنة والتلعثم في قول الحق، بل وتجرأت على دخول هياكل السلطة وأجهزتها واتسمت الصحوة بالعجز عن مواجهة ذلك الواقع وفي ذات الوقت انغمس معظم شعوب الأمة في حياة استهلاكية لاهية عابثة.

وبطبيعة الحال، كان في شباب الصحوة من يتمتع بالحماس المتقد والغيرة الشديدة على دين الله بقدر ما توفر له من نصيب من الجهل في علوم الدين وقواعده وضوابطه، ومثل ذلك من قلة الخبرة في فقه الواقع ومعطياته، فنظر واحدهم إلى حاكم كافر ، وسجان ينتهك الأعراض، ويسفك الدماء ويسب الله ورسوله ودينه بلاحياء ولا وجل، فرأى الشباب المعذب أن لا شك في أن هؤلاء كفرة، **ولا شك أنه استنتاج صحيح.**

ثم نظر الشباب إلى علماء منافقين يعلمون كل هذا ويشهدون عليه بالشرعية ويسوغونه، فقالوا لا شك في كفر هؤلاء الذين كتموا ما أنزل الله واشتروا به ثمنا قليلاً، ثم نظروا إلى قيادات صحوة عاجزة مداهنة منكفئة، فسألوهم عن هذا الكفر وأحكامه، وحكم أصحابه فشهد الدعاة وقادة الصحوة على هذا الضلال بالفسوق والظلم، ولكنهم لم يتجرؤوا، أو لم يتوصلوا إلى الحكم عليه بالكفر، فحكموا على هذه الأنظمة وأجهزتها بالإسلام وبمجرد الظلم والفسق، فهنا

حصلت الصدمة الفكرية في رؤوس بعض الشباب فأعملوا القاعدة المعروفة (من لم يكفر كافرا فقد كفر) على كل المستويات، جاهلين أن هذه القاعدة هي في كفر المجمع على كفره بلا تأويل واستنتاج كاليهود والنصارى والمجوس؛ فأسقطوها على من لم يكفر أولئك الحكام وتتابعت السلسلة المنكودة[١].

فكل من لم يكفر من كفروه فقد كفر، ولقلة العلم وبسبب الحماس والتشنج وظروف السجون، ولد فكر التكفير، وبسبب الجهل ولنفس الأسباب السالفة اختلفوا على حدود التكفير فكفروا بعضهم بعضاً، وانبثق من هنا مدارس وجماعات مختلفة في أصول التكفير وتوسعهم فيه، وعلى هامش هذه الأفكار نظر هؤلاء إلى المجتمعات وما يتمرغ فيه أكثر الناس من الرذائل والفساد.

فولدت فكرة جاهلية هذه المجتمعات، ثم كفر بعضهم هذه المجتمعات لأنها تمالئ حكامها أو لم تعبأ بتعلم دينها ، وتقع بجهالتها وعدم سعيها لفهم دينها في نواقض الإيمان، وطرحت فكرة الابتعاد عنها للعيش في مجمعات معزولة يقوم أصحابها على تربية أنفسهم وأولادهم على الدين والفضيلة فولدت فكرة الهجرة، وامتزجت في كثير من الأحيان نتيجة العزلة والجهل والحيف الذي وقع عليهم من السلطات وعلمائها، ثم من الصحوة وقيادتها، ثم من الناس والمجتمع، فتفاقمت الظاهرة، واختلفت زوايا الانحراف فيها، واعتبر بعض هذه الجماعات أنفسهم (جماعة المسلمين) وكفروا من ورائهم، وتردد البعض نتيجة بعض العلم عندهم أو

---

(١) يقول الشيخ المقدسي في (الثلاثينية) :" وسوء استعمال هذه القاعدة عمّ بلاؤه وطمّ بين كثير من الشباب، حتى جعلها بعض غلاة المكفرة أصل الدين وشرط صحة الإسلام، يدور معها الإسلام عندهم وجوداً وعدماً، وعقدوا عليها الولاء والبراء؛ فمن أطلقها وأعملها فهو المسلم الموحد الذي يتولّونه، ومن خالفهم في بعض جزئياتها عادوه وبرئوا منه وكفّروه؛ حتى بلغ بهم الأمر أن كفر بعضهم بعضاً، لأنه لا يخلو أن يخالف بعضهم في تكفير بعض الناس، فيكفر بعضهم بعضا بسبب هذا الخلاف".

بعض الخوف من إطلاق حكم التكفير تورعا فبدؤوا في البحث في أعذار الجهل لتخفيف هذه الأحكام عن البعض، واختلفت الآراء في تفسير نصوص العلماء الأوائل بالعذر بالجهل وحدوده وشروطه فأطلقوا الأحكام حيناً، وتوقفوا للتبين حينا فولدت ما يسمى جماعات (التوقف و التبيُّن)، وشهدت فترة السبعينيات والثمانينيات توفر أسباب النمو لهذه التيارات الشاذ التي آذت الإسلام والمسلمين والصحوة، وآذت نفسها. ووفرت فرصة ذهبية للعدو لنسف شعبية التيار الجهادي والصحوة الإسلامية كلها، حيث نسبت الحكومة إلى كل من يريدون تدميره تهمة الإنتماء إلى هذا التيار الممقوت والمعزول من قبل عوام المسلمين صالحهم و فاسدهم، وهذه خلاصة قصة التكفير في أوساط الصحوة حيث يمكن ايجاز معادلة توليده بما يلي:

(حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عالم منافق للسلطان + صحوة عاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شباب متحمس جاهل مظلوم = ميلاد تيار التكفير) [1] .

وكدأب الشيطان دائماً، طلب بعض أقطاب هذا التيار بعض العلم وعادوا يبحثون في كتب الأقدمين عما يدعم أصولهم وأفكارهم فصار لهذا التيار أمراؤه وفقهاؤه المنحرفون ونشراته الضالة، وغلب على أتباعه العنف في كل الأحوال، واستدرجت أجهزة الاستخبارات بعضهم حيث وجدوا للولوغ في دماء الأبرياء، ثم

([1]) يقول الأستاذ _سلمه الله_ (دعوة المقاومة، الفصل الخامس، الصحوة الشاذة وتيار التكفير) :" ولما دَرَست أجهزة الإستخبارات هذه الظاهرة التكفيرية اكتشفت المعادلة التي أشرت إليها في ميلاد التكفير، الذي يولد طبيعياً في الأجواء التي أشرت إليها؛ فعمدوا إلى توليد تيارات للتكفير بالاستنساخ الاصطناعي في الأوساط التي يتوقع أن الجهاد سيولد فيها بطبيعة الحال نتيجة الحضور الاستعماري أو النظام الطاغوتي". ويقول :" **وهذه الملاحظة من أهم ما يجب أن ينتبه إليه من التداخل بين التكفير والاستخبارات**" .

دماء بعضهم، ودماء من أرادت الاستخبارات استجرارهم إليه لتدميرهم وتدمير الجهاد والصحوة ومستقبل الإسلام حيث أرادت ... وخلاصة ما حصل لهذه الظاهرة منذ ميلادها مطلع السبعينيات وإلى اليوم أنها كانت محدودة معزولة لم تلق شعبية ولا انتشاراً، لا في أوساط الصحوة الإسلامية، ولا في أوساط عامة المسلمين. ففي حين لم يقف التواصل والعلاقات بين مختلف أعضاء وجماعات الصحوة في المناحي الثلاثة السياسية والغير سياسية والجهادية رغم اختلافها وخلافاتها، حيث قام التواصل الفكري والعلاقات الشخصية بل والتعاون في مختلف مستويات ما اتفق عليه، أجمعت الصحوة الإسلامية بكاملها على نبذ ظاهرة التكفير وفكر أصحابه مما ساعد على ضموره وانكماشه .

وللطبيعة بالغة السوء التي طبعت فكره وسلوك أفراده ؛من الجهل والتشنج والعنف واللامعقولية ، بالإضافة للانحراف عن الأسس الشرعية، لم يستطع هذا التيار أن يكسب أرضية داخل الصحوة ولا خارجها، إلا على شكل جيوب منكمشة معزولة هنا وهناك تجتر أحقادها وجهالتها وتتولى تصفية بعضها البعض". إ.هـ

هذه هي القصة باختصار، وهكذا كانت البداية والأسباب والنتائج .

أما اليوم فقد تطور الأمر وتغير الحال، إلى حد يصعب رصده وحصره[1] !

ولا يهمنا _الآن_ معرفة أسبابه ودواعيه، بل ما يهمنا ويجب علينا _في هذه المرحلة بالذات، وقد تفاقم الأمر وعظم_ هو معرفة صفات أصحاب هذا التيار "الجديد والمطوّر"، ومعرفة (مسائلهم، وحالهم، ومآلهم، وقتالهم، والعصمة منهم)، فإلى بيان المقصود، والله حده المقصود :

(1) من أبرز التطورات وأخطرها، اتساع الرقعة الجغرافية، الإنتقال من القطرية إلى العالمية، وفرة المال والسلاح، دخول "الأعاجم"، إمتلاك المنابر، تغييب"الأوائل" (من العلماء والقادة، بالسجن أو القتل) .

-1-

صفاتهم[١]

خوارج هذا الزمان، يُعرفون بصفات وخِلال:

منها: أنهم يُكفِّرون بالخطأ، وبالظن، والشبهات، وبأمورٍ لا ترقى إلى اليقين؛ بل وبأمور لا تكون في عالم الوجود والواقع!

يكفي أحدهم ليصدر التكفير في حق فلان، أن يُقال له قِيل عنه كذا وكذا !

ومنها: أنهم لا يَعرفون مبدأ إقالة العثرات، ولا مبدأ اعتبار الحسنات، ولا مبدأ اعتبار المقاصد عند ورود المتشابهات، ولا مبدأ رفع الملام عن الأئمة الأعلام كما يقول بذلك شيخ الإسلام!

ومنها: أنهم لا يَعذرون بالجهل، ولا بالتأويل، ولا بعجز لا يمكن دفعه!

ومنها: قلة الإنصاف والعدل، فهم لأدنى خلاف يُكفِّرون، ويجرمون، ويخلِّدون في النار!

ومنها: الجهل بالدين، فينطلقون إلى آيات قيلت في أئمة الكفر والإجرام، فيحملونها على المؤمنين الموحدين!

ومن ذلك كذلك أنهم ينطلقون إلى كتب أهل العلم فيكثرون النقل منها، فيضعونها في غير موضعها المراد، فيظن المغررون المضللون من الشباب أنهم بذلك علماء؛ لأنهم استندوا إلى أقوال العلماء في تنطعاتهم وأحكامهم الجائرة على

(١) الشيخ أبو بصير الطرطوسي، صيد القلم ، وأنظر الفتاوى، السؤال رقم (602) و (855) و(856)

الآخرين، وبشيء من المتابعة والتدقيق يجد القارئ الواعي أن هذه النصوص التي استدلوا بها من أقوال أهل العلم هي عليهم وليست لهم، أو على الأقل ليس فيها أدنى دلالة على ما ذهبوا إليه!

ومنها: الحقد الدفين على المسلمين الموحدين، تحت عنوان إحياء عقيدة الولاء والبراء كما يزعمون !

ولو قيل عنهم: أنهم يُحيون عقيدة البراء والبراء، وليس الولاء والبراء؛ لكان التعبير بحقهم أصوب وأدق!

ومنها: أنهم ينفون عن أنفسهم تهمة التكفير بالذنوب، لينفوا عن أنفسهم مسمى الغلو أو الخوارج، وهم ـ في حقيقتهم ـ يكفرون بلا ذنب[1] كما تقدم، ففاقوا بذلك الخوارج، وسبقوهم سبقاً بعيداً !!

ومنها: أنهم يُعرفون بالكبر والتعالي على العباد، لا يوجد عندهم كبير يحترمونه أو يرجعون إليه فالكبير والصغير عندهم سواء!

هؤلاء هم خوارج هذا الزمان، فاحذرهم، وحذِّر الناس منهم، واحذر أن تكون واحداً منهم وأنت لا تدري!!" إ.هـ

وللأهمية أنظر لأبي محمد المقدسي ـسلمه اللهـ (الثلاثينية في التكفير) وفيها (وقفات مع صفات الخوارج)، وقد ذكر أغلب الصفات الذي ذكرها الشيخ الطرطوسي، وزاد عليها فوائد وضوابط مهمة.

---

(1) وبالطاعة أحياناً، وقد ثبت! ونظرة سريعة في كتاب الثلاثينية للمقدسي (فصل الأخطاء في التكفير)، تكفي وتشفي وتهدي.

-2-

مسائلهم[1]

• مسألة العذر بالجهل

فهم يقولون لا عذر بالجهل في أصل التوحيد، ويجعلون نفس اعتقاد ذلك من أصل التوحيد، فمن لم يعتقد ذلك كان كافراً عندهم، يعني أن من خالفهم في مسألة العذر بالجهل فهو كافرٌ خارج من ملة الإسلام، فجعلوا هذه المسألة نفسها من أصل الدين الذي يكفر مخالفه ولا يُعذر فيه باجتهاد ولا جهل ولا أي شيء، فيقولون مثلا: الشيخ أبو قتادة الفلسطيني كافرٌ لأنه يعذر المشركين بالجهل.!! كذا يقولون، مع أن هذا ليس تقريراً صحيحاً لمذهب أبي قتادة، بل تقريرهم هذا تزويرٌ وتهويلٌ خادِعٌ!

والصحيح أن نقول: أبو قتادة (وغيره من العلماء وهم كثيرٌ من علماء الأمة) يرون أن المسلم الذي ثبت له عندنا عقدُ الإسلام، إذا ارتكب شيئا من الشرك الأكبر جاهلا، وصحَّ الجهلُ، أنه لا يكفر (أي لا نحكم عليه بالكفر والخروج من الملة) بمجرد ذلك، بل حتى تقام عليه الحجة فيخالفها، هذا قولهم، وهو أحدُ الأقوال في المسألة وأقواها، على تفاصيل وقيود لابد منها تعرَف في محلها .

فهذا تقرير كلام علمائنا، وليس مقصودنا هنا تقرير المسألة وذكر تفاصيل أدلتها والخوض في الترجيح بين أقوال المتنازعين فيها، فهذا صعبٌ ويطول جداً وله محله، وإنما المقصود بيان أصل من أصول ضلال هذه الفرقة المارقة، وأنهم حينما أقحموا

([1]) الشيخ عطية الله، جواب سؤال في جهاد الدفع، باختصار يسير .

تنبيه : هذه المسائل هي العمدة عند خوارج العصر بلا استثناء، والمشكلة ليست فيها قطعاً، بل في طريقة بحثها عندهم وتأصيلهم لها، وتقديمها على غيرها، وجعلها من الواجبات المتحتمات .

مسألة لم يزل الخلاف قائما فيها بين العلماء فيما أسموه أصول الدين وقواعده واعتقدوا قطعيتها، ولم يفرقوا بين ارتكاب الشرك والتلبس به وبين الكلام على مرتكبه وإعذاره أو عدم إعذاره، وجعلوا التفريق بين الكفر والشرك في هذا أصلا من أصول الدين كذلك واعتقدوا قطعيته، ارتطموا بهذه البلية ووقعوا في هذا الورطة فسهل عليهم تكفير الأمة والأئمة !

وقد يجعلُ بعضُهم هذه المسألة من "المسائل الخفية" حسب تصنيفاتهم، ولكنهم لا يلبثون طويلاً حتى يكفروا العلماء الذين خالفوهم فيها بدعوى أنه قد قامت عليهم الحجة، ولذا يكفرون مَن يوافقهم في مسألة العذر بالجهل، كالشيخ أبي محمد المقدسي والشيخ عليّ الخضير والشيخ الفهد والشيخ حمود العقلاء وأمثالهم، وكالشيخ حامد العلي والشيخ عبد القادر بن عبد العزيز وغيرهم كثير.

مع أن هؤلاء كلهم يقولون بعدم العذر بالجهل في مسائل أصل الدين (الشرك الأكبر)، لكن المخلف[1] وأتباعه يكفرونهم لأنهم -عندهم- وإن كانوا يقولون بعدم العذر بالجهل في أصل التوحيد لكنهم عذروا المخالف في هذه المسألة واعتبروها مسألة اجتهادية، ولم يكفّروهم! فيقولون: هم كفارٌ لأنهم لم يكفروا الكفار، وقد قامت عليهم الحجة زعموا[2] !

---

(1) أبو مريم ، عبد الرحمن بن طَلاّع المخلف .

وقد جالست بعض أتباعه في خراسان، وأذكر من غلوهم _ وقد سمعته منهم _ (تكفير الملا عمر وأنه يدعوا للشرك والوثنية، وأن دستور الإمارة الإسلامية كفري، وتكفير الظواهري والحكايمة لعدم تكفيرهم حماس، وتكفير الشيخ ابن باز والألباني وابن عثيمين لعدم تكفيرهم الحكّام)، وغيرها من المسائل التي ذهبت بذهابهم ولله الحمد .

(٢) لمزيد فائدة حول مسألة العذر بالجهل، أنظر للشيخ عطية الله نبذة مفيدة حولها ضمن لقاء الحسبة . (السائل : مع الحق) .

- **مسألة التفريق بين الكفر والشرك ... .**
- **مسألة "من لم يكفر الكافر أو شك في كفره فهو كافر" .**

وهي مسألة صحيحة، لكن على معناها الذي قصده العلماء الذين قالوها وسطروها، وهي مشروحة في مواضع كثيرة من كتب أهل العلم ... وللشيخ ناصر الفهد شرح ميسّر لها في رسالة، وكذا للشيخ أبي محمد المقدسي، ولغيرهما كثير جداً، فيبحث عنه الأخ الطالب للعلم(١).

وهم (هؤلاء الزائغون: المخلف وأصحابه) ما أسرعَ ما يكفرون مَن خالفهم في تكفير شخص أو طائفة، احتجاجا بهذه العبارة، هذا هو مذهبهم وطريقتهم، وإن جادلوا نظريا بأنهم يعرفون معناها. وما أبعدَ هذا عن منهج أهل العلم من السلف والخلف رحمهم الله، أهل الاحتياط والتثبت وقوة الورع وطلب السلامة في الدين، مع علو كعوبهم في الفقه والعلم والبصيرة والقيام بأمر الدين، ولنشر هنا إلى مثالين نكتفي بهما إلى أن ييسر الله موضعا لمزيد البسط، وهما: ابن عربي الصوفي الملحد الزنديق، والعلامة ابن حجر الهيتمي الفقيه الشافعي.

فهذا ابن عربي صاحب عقيدة الحلول والاتحاد الذي لا تخفى شطحاته وشناعاته على بداءة العقول، حتى ليستبشعها ويستعظمها العامة قبل الخاصة، وكتبه تنضح بها، وهو يؤصل لمذهبه الإلحادي تأصيلاً مستمراً، ويكفي منها قوله: (الرب حق والعبد حق * ياليت شعري من المكلف * إن قلت عبد فذاك ميت * أو قلت رب أنى يكلف) تعالى الله عما يقول هذا الظالم علوّاً كبيرا، وهو يكتب ما يكتبه

---

(١) أنظر : للمقدسي كتاب الثلاثينية (الفصل الثالث الخطأ رقم ١١) ورسالة الإشراقة في سؤالات سواقة (المسألة الرابعة)، وللفهد (حول قاعدة من لم يكفر الكافر فهو كافر)، وللرشيد شرح نواقض الإسلام (الناقض الثالث) وكتاب (هشيم التراجعات)، وللطرطوسي كتاب قواعد في التكفير (القاعدة الثانية عشرة) .

من كفرٍ وزندقة بوعي وإدراك وتفنن، وليس ما سطره عباراتٍ عابرةً أو سبق قلم أو زلة عالم أو اجتهاد خاطئ، ومع ذلك اختلف العلماءُ في تكفيره، وتجد بعض الأئمة الراسخين في العلم الذين لهم قدم صدق في الأمة حينما يذكرون اسم هذا الملحد يبجلونه ويعظمونه فيلحقون باسمه عبارات "قدس الله روحه" ونحوها ويصفونه بالعارف بالله وبالشيخ الأكبر، كما يفعل الإمام الألوسي في تفسيره.

وهؤلاء الأئمة مع رسوخ علمهم ودقة فهمم إلا أنهم يجعلون عقولهم أقصر وأقل من أن تدرك معاني عبارات هؤلاء الملاحدة فيقفون أمامها موقف العاجز المستسلم الذي يجعل صحة كلامهم هي الأصل المقطوع ولو كان غاية في البهتان والشناعة، فإن وجد له تخريجا وتأويلاً فبها وإلا قال القوم أدرى بما يقولون، فانظر مثلاً إلى هذه القصة التي يذكرها الإمام الألوسي عن رأس الإلحاد ابن عربي: "وقد سمعت من بعضهم –العهدة عليه– أن الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدس الله تعالى سره وقع يوماً عن حماره، فرضت رجله فجاؤوا ليحملوه فقال: أمهلوني فأمهلوه يسيراً ثم أذن لهم فحملوه فقيل له في ذلك فقال: راجعت كتاب الله تعالى فوجدت خبر هذه الحادثة قد ذكر في الفاتحة، وهذا أمر لا تصله عقولنا! ". انتهى كلام الألوسي.

فهل رأيتم العلماء المكفرين لابن عربي –وما أكثرهم– يكفرون أعيانَ مَن لم يكفره من إخوانهم العلماء، وما أكثرهم أيضاً؟

بل هل كفروا حتى مَن لم يرَ ضلال شخص ابن عربي، وهل استعملوا معهم قاعدة "من لم يكفر الكافر فهو كافر" أو شهروها سيفاً مصلتاً وسلاحاً فاتكاً في وجه كل من خالفهم ونازعهم في تكفيره وردته؟!

وما ذاك إلا لقوّة بصيرتهم وتثبّتهم في العلم واحتياطهم في الدين ومعرفتهم بالأعذار، وقد كان بعض مشايخنا يقول: كلما رسخَ علمُ العالم كان أبصر بالأعذار وأوسع عذراً للناس، وهذا صحيحٌ لمن اعتبره، ولا يخفى أنه مقيّد بقيد الشرع الصحيح والفقه الرجيح على قاعدة تقوى الله تعالى.

والحاصل أن العلماء كانوا يتناظرون في شأن هذا الزنديق ابن عربي ويكتبون الكتب في فضح خبثه وإماطة اللثام عن زندقته، وربما وصل الأمر إلى المباهلة في شأن ضلاله، ولكنهم لا يتجاوزون ذلك إلى تكفير مخالفهم في هذا الأمر، كما في القصة المروية عن الحافظ ابن حجر رحمه الله مع مَن ناظره من محبي ابن عربي في شأنه.

وهكذا بقيتْ جلالة أولئك العلماء المخالفين في شأن زندقة ابن عربي على حالها؛ يؤخذ من علمهم، وينتفع بكتبهم، ويُرد عليهم بالعلم والتأصيل فيما حاولوه من التوسع الشنيع في الاعتذار لهؤلاء الزنادقة، ولم يكن ذلك سببا في تكفيرهم ولا داعياً إلى تضليلهم، إلا عند سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان المارقين من الدين كما يمرق السهم من الرمية!

وأما ابن حجر الهيتمي فإنه كان متصوفاً كذلك معظما لابن عربي المذكور، وكان مناضلاً عن أهل شرك القبور؛ جوّز في بعض كتبه الاستغاثة بغير الله تعالى ودافع عن المشركين المستغيثين بغير الله من الأولياء وأضرحتهم .

وشنّع على شيخ الإسلام ابن تيمية وحط عليه ووقع فيه وقوعاً شديداً، ولعله كفره أيضاً أو قاربَ، وطامّاته في هذا الباب معروفة، ومع ذلك لم يكفره العلماءُ واعتذروا عنه بما له من تأويل وعظيم فضلٍ ورسوخ قدم في العلم والفقه.

ومنهم علماء الدعوة النجدية كما في الدرر السنية في رسالة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله، التي مطلعها: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد: "فإنا معاشر غزو الموحدين، لما منَّ الله علينا –وله الحمد– بدخول مكة المشرفة نصف النهار يومَ السبت، في ثامن شهر محرم الحرام، سنة ١٢١٨ هـ، بعد أن طلب أشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو "سعود" الأمان ... [إلى أن قال]: فإن قال قائل منفرٌ عن قبول الحق والإذعان له: يلزم من تقريركم، وقطعكم في أن من قال يا رسول الله أسألك الشفاعة: أنه مشرك مهدر الدم؛ أن يقال بكفر غالب الأمة، ولا سيما المتأخرين، لتصريح علمائهم المعتبرين: أن ذلك مندوبٌ، وشنوا الغارة على من خالف في ذلك!

قلت: لا يلزم، لأن لازم المذهب ليس بمذهب، كما هو مقرر، ومثل ذلك: لا يلزم أن نكون مجسمة، وإن قلنا بجهة العلو، كما ورد الحديث بذلك.

ونحن نقول فيمن مات: تلك أمة قد خلت؛ ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصر مستكبراً معانداً، كغالب من نقاتلهم اليوم، يصرون على ذلك الإشراك، ويمتنعون من فعل الواجبات، ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرمات؛ وغير الغالب إنما نقاتله لمناصرته مَن هذه حاله، ورضاه به، ولتكثير سواد من ذكر، والتأليب معه، فله حينئذ حكمُهُ في قتاله.

ونعتذر عمن مضى: بأنهم مخطئون معذورون، لعدم عصمتهم من الخطأ، والإجماع في ذلك ممنوع قطعاً؛ ومن شن الغارة فقد غلط؛ ولا بدع أن يغلط، فقد غلط من هو خير منه، كمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما نبهته المرأة رجع في مسألة المهر، وفي غير ذلك يعرف ذلك في سيرته، بل غلط الصحابة وهم جمع،

ونبينا صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، سارٍ فيهم نوره، فقالوا اجعل لنا ذات أنواط كمال هم ذات أنواط.

فإن قلت: هذا فيمن ذهل، فلما نبه انتبه، فما القول فيمن حرر الأدلة، واطلع على كلام الأئمة القدوة، واستمر مصراً على ذلك حتى مات؟!

قلت: ولا مانع أن نعتذر لمن ذكر، ولا نقول: إنه كافر، ولا لما تقدم أنه مخطىء، وإن استمر على خطئه، لعدم من يناضل عن هذه المسألة في وقته، بلسانه وسيفه وسنانه، فلم تقم عليه الحجة ولا وضحت له المحجة، بل الغالب على زمن المؤلفين المذكورين التواطؤُ على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأساً، ومن اطلع عليه أعرض عنه، قبل أن يتمكن في قلبه، ولم يزل أكابرهم تنهى أصاغرهم عن مطلق النظر في ذلك، وصولةُ الملوك قاهرةٌ لمن وقر في قلبه شيء من ذلك إلا من شاء الله منهم.

هذا: وقد رأى معاوية وأصحابه –رضي الله عنهم– منابذة أمير المؤمنين علي أبي طالب رضي الله عنه، وقتاله ومناجزته الحرب، وهم في ذلك مخطئون بالإجماع، واستمروا في ذلك الخطأ، ولم يشتهر عن أحد من السلف تكفيرُ أحد منهم إجماعاً، بل ولا تفسيقه، بل أثبتوا لهم أجر الاجتهاد، وان كانوا مخطئين، كما أن ذلك مشهور عند أهل السنة.

ونحن كذلك: لا نكفّر من صحت ديانته وشهر صلاحه وعلم ورعه وزهده وحسنت سيرته وبلغ من نصحه الأمة ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها، وإن كان مخطئا في هذه المسألة أو غيرها، كابن حجر الهيتمي فإنا نعرف كلامه في (الدر المنظم)، ولا ننكر سعة علمه، ولهذا نعتني بكتبه كشرح الأربعين والزواجر وغيرهما، ونعتمد على نقله لأنه من جملة علماء المسلمين"اهـ وأكتفي

بهذين المثالين، خشية التطويل، والأمثلة كثيرة جداً على هذا المنهج المستقيم لعلماء الملة وأئمة الدين، والحمد لله رب العالمين[١] .

• **مسألة الأسماء والأحكام التي كثيرا ما يتشدقون بها، ولا يفقهون حقيقتها[٢]**

... " .

• **ادعاء الإجماعات والقطع واليقين[٣]** . إ.هـ

(١) أنظر قصة طريفة في تفسير سورة التوبة؛ للشيخ عبد الله عزام ـ رحمه الله ـ ، وفيها أن أحد الطلاب كفر الشيخ لأنه لم يكفر الهضيبي مرشد الإخوان ! وذلك لأن الهضيبي لا يكفر عبد الناصر، وعبد الناصر كافر، ومن لم يكفر الكافر فهو كافر !

وفي هذه المسألة أذكر أني طلبت من أحد الأعاجم (وكان كثير النقاش، ولا يتقن العربية)، الدليل على قوله وما ذهب إليه، فقال لي: موجود في سُورة زُبابة (يعني الذّبابة !!) فقلت له أي زُبابة ؟! فقال: هذا ..حشرة .. يأكل عسل .. (يعني سورة النحل !!).

(٢) أنظر في هذه المسألة كتاب (الحقائق في التوحيد) للشيخ علي الخضير ـ سلمه الله ـ .

وعنه يقول الشيخ الرشيد (أخو من طاع الله) :" والشيخ علي الخضير من العلماء المحققين في مسائل الاعتقاد وبخاصة مسائل "الأسماء والأحكام"، كما لا يخفى على مطلع على كتبه، ومن أهمّها كتاب "الحقائق" في التوحيد، وما أعلم له قولاً تفرَّد به، أو لم يُسبق إليه، وعلى المدعي البيّنة " (التكميل لمقالات الشيخ الأسير، لكاتب هذه السطور)

وللكتاب شرح صوتي لمؤلفه، وشرح مكتوب (تيسير العزيز الحميد) للشيخ أبي مارية القرشي ـ سلمه الله ـ

(٣) يقول الشيخ في لقاء الحسبة :" ينبغي قطع الطمع عن الوصول إلى اليقين في كل مسألة ـ أعني مسائل الخلاف والاجتهاد ـ فإن الكثير من مسائل الدين (بل أكثرها) مبنيّ على غلبة الظن، وعلى الاجتهاد، وسبيل المعرفة به الاستدلال، فمَن يحاول -في كل مسألة، أو أكثر المسائل- الوصول إلى قطعٍ ويقين، أو يتوهّم أنه يمكنه أن يستولي على علم كل الدقائق ولا يكون عنده مجال لأي تردد، فهو مخطئ، وسيتعب كثيراً، وأخطر ما في الأمر أنه يُخشى عليه الفتنة والضلال ".

-3-

حالهم ومآلهم[١]

"وسنة الله تعالى فيهم معلومة مسطورة معروفة لأهل العلم والعقل والعبرة: يُكَفِّرون العلماءَ وطلبة العلم والمجاهدين والناس أجمعين، ثم يكفر بعضهم بعضاً[٢].

ويؤول بهم الأمرُ إلى أحوال مستقبحةٍ جداً حتى إنهم قد يستحلون الكثير من المحرمات القطعية التحريم، كالخمر والمخدرات والزنا الصريح، وغير ذلك، فقد رأيناهم في باكستان استحلوا الحشيشة والمواد المخدرة وتدرجوا باعتقاد حل المتاجرة فيها أولاً، ثم تعاطيها والزعم بأنها ليست حراماً، أو القول بأننا الآن في زمن يشبه الزمن المكي، وهو زمن الدعوة إلى التوحيد فقط ولا تشريع بعدُ يحرم هذه الأشياء، وإلى ما شابه ذلك من التأويلات السخيفة غير المعتبرة عند جميع أهل العلم[٣] .

وبنفس هذه الشبهات استحلوا الكثير من الحرام، ويمارس بعضهم الزنا الصريح في أوروبا وغيرها وسائر البلاد، تحت ادعاءات باطلة مقطوع ببطلانها كالقول بأنّ المزنيّ بهنّ في حكم السبايا، ويكثر خلافهم واختلافهم وتناقضهم ويصل إلى حد فاحش جداً تستبشعه الفطرُ.

---

(١) الشيخ عطية الله، جواب سؤال في جهاد الدفع، وباختصار يسير

(٢) يقول الأستاذ أبو مصعب السوري في كتاب (التجربة السورية) :" وكثيراً ما انقسموا أوكفر بعضهم بعضاً، ودخلوا في متاهة شيطانية لا يخرجهم منها إلا رحمة الله نسأل الله لهم ولكل المخلصين الهدى والرشاد".

(٣) يقول الشيخ المقدسي في (الثلاثينية) : " ولقد رأيت من هؤلاء الغلاة الجهال في الباكستان من كان يسرق وينتهب أموال أيتام المسلمين وفقرائهم ومهاجريهم بل ومجاهديهم، بحجة أن الأصل في الناس الكفر لأن الدار دار كفر ، أو لأنهم لم يكفروا الكفار الذين يكفرهم أولئك الأساتذة!! ثم ما فتئوا أن تجرؤوا فقتلوا بعض الموحدين الذين خالفوهم في ذلك فاستباحوا دماءهم **بحجج واهية وشبه فارغة"** .

ويتنافرون ويتدابرون ويتقاطعون، وينشطرون، بل وسرعان ما يتقاتلون إن كان بيدهم سلاح وكانوا في أرض سلاح، وينقسمون فرقاً يزيد بعضهم على بعض في الغلو والعتوّ، دعك عن فساد الأخلاق وفقدان المروءة وموت الضمائر، ومناقضة أبسط مبادئ الأخلاق الكريمة التي اجتمع عليها الملل والنحل كلها كافرها ومسلمها، كاستحلال الكذب الصريح والخيانة وجميع أنواع الغدر والخديعة المحرمة وذهاب الرحمة من قلوبهم وتحوّلها إلى أنواع من القسوة غريب جداً وأنواع من الأخلاق السبُعية يصعب على مَن لم يعرف نماذج منهم أن يصدق ما نقوله له عنهم!!

وعادة الله تعالى فيهم حسبما رصدها أهل العبرة أنهم تكون لهم زوبعة وضجة ويحصل لهم في فتنتهم أتباع قليلون أو كثيرون، ثم ما يلبث أن يرجع جزء كبيرٌ منهم ويؤوبون إلى الحق ويكتشفون الضلالة بعد اكتواءٍ وشَوْبٍ من فسادٍ، نسأل الله العافية، ثم يؤول أمرُهم إلى اضمحلال وزوال.

وقد حكى لنا مرة بعض التائبين منهم ممن منّ الله عليهم بالهداية بعد أن قطع شوطاً طويلاً معهم، وهذا شيء قليلٌ في العادة، حكى لنا أنهم وصلوا إلى حالات من الشك في الله تعالى وفي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته وفي القرآن!!

نعم والله ! فإنهم من شدّة التنطع والتشدد في الدين والغلوّ لا يرضون برحمة الله الواسعة ولا يقبلون منة الله ولطفه، بل يظلون يشددون على أنفسهم ويتنطعون فيهلكون بأن يتسلّط عليهم الشيطان والوسواس، فيظلون يشكون في أنفسهم كل لحظة، ويصبح الرجل منهم ويقول: أنا كنت بالأمس كافراً، واليوم أسلمتُ من جديد، ويكفر الرجل منهم أخاه في المجلس ثم يعود فيحكم عليه بالإسلام، ثم

يكفره عدة مراتٍ، والآخر يقول: نعم أنا كفرت قبل قليل والآن أنا أرجع إلى الإسلام(١)، ويكفر الرجل أهله وزوجه وولده كل يوم.

وتحصل عندهم من المفاسد الاجتماعية والإنسانية ما لا يقدرون –مع طول الوقت– على الصبر عليه، لأنهم أوقعوا أنفسهم في التشديد والحرج والضيق وما لا تقوى نفوس البشر في العادة على تحمّله على دوام الأزمان، ولم يقبلوا منّة الله عليهم بالتوسعة والتيسير، بل شددوا فشدد الله عليهم، فيحصل أن يصل بعضهم إلى حالات الكفر الصريح بالله تعالى وبالأنبياء ورسالات الله عز وجل.

ويصل إلى سب الله تعالى رأساً! والعياذ بالله تعالى من هذه الأحوال الرديّة، ويصل بعضهم إلى حالات يأس وقنوط، وإلى الانتحار!

والسبب الظاهر المباشر لذلك –والله تعالى أعلم– هو كثرة وقوة مناقضة الفطرة ودين الفطرة (الإسلام دينُ الفطرة)، وكثرة وقوة التضييق على النفس حتى تملّ وتعيي وتتعب وتصير تتفلت وتنفر ولا تقوى على حمل تكاليف الدين، ثم تصير إلى أنواع من الحيل الشريرة والتأويلات الفاسدة غير المستساغة

وكثرة وقوة مناقضة ظواهر الشريعة ودلالاتها المتنوعة على الحقائق، فيحصل عندهم في البداية نوعٌ من المكابرة ثم يكتشفون أدلة أخرى وتعترضهم إشكالات تتكاثر عليهم وتغلبهم ويحيرون في الجواب ويزدادون في المكابرة ولاسيما إن كان الواحدُ منهم رأساً في فرقته وجماعته متبوعا قد تصدّر وصار له أتباع وأقوال ومذهبٌ، فيصعب عليه الرجوع إلى الحق .

---

(١) وقد حدث هذا في خراسان، مع الجماعة التي أشرت لها في الحاشية رقم (1) ص (13) .
وذلك أن شيخهم والمقدم فيهم قال مرة كلمة كفرية بالخطأ، فلما راجعناه، قال (أيش يعني ؟!! كفرت ؟!!)، فقلنا له أنت أعلم ! فحكم على نفسه بالكفر، وبعدها اغتسل ونطق بالشهادتين !!

وهذا من معنى قوله تعالى: "واعلموا أن الله يحولُ بين المرء وقلبه"، وهكذا يحصل عند الواحدِ منهم تأنيبُ ضمير ويشعر بقوة التناقض في نفسه، فقد يصل إلى حالات قصوى من المرض النفسيّ والخبلِ أو يصيرُ إلى الزندقة المحضة والكفر بالله العظيم، والعياذ بالله .

ومن أمثلة التناقضات التي تعترضهم باستمرار:

- تكفيرهم لعموم المسلمين بما فيهم خيارُهم من العُبّاد والزهاد والمجاهدين والاستشهاديين وأهل العلم والدعوة والبذل في سبيل الله تعالى، يكفرونهم كلهم، ولا يحكمون إلا بإسلام نفرٍ قليل هم جماعتهم ومَن كان مثلهم فقط(١)، بل ويحكمون بكفر سائر الأمة في قرونها المتأخرة، وهم يجدون في الأحاديث النبوية وظواهر الشريعة أن أمة الإسلام لايزال نسلها مستمرا باقيا إلى قربِ قيام الساعة حين يأذن الله تعالى بأخذ أرواح كل أهل الإيمان، ويجدون في الأحاديث مدحا لبعض أعصُر الأمة وأزمنتهم وأمكنتها والإخبار ببقاء الإسلام والإيمان والصلاح فيها وفي أهلها، وأحاديث الطائفة المنصورة الظاهرة على أعدائها وأنها لن تزال قائمة موجودة إلى قيام الساعة، وغير ذلك كثير جدا، فيحصل عندهم تناقض كبيرٌ وتأنيبٌ للضمير مُمرضٌ مهلكٌ!

---

(١) يقول الشيخ المقدسي في (الثلاثينية) : وأقل الغلاة سوءاً، من تراه يعامل كل من هو خارج شرنقة تجمعه، أو حدود جماعته : معاملة الكفار؛ فيهدر حقوقهم الإسلامية ويستحل أعراضهم، أو يتعدى حدود الله فيهم، فلا يراعي فيهم ذمة ولا حقا شرعيا، وإن كان عند الاستفصال، لا يصرح بتكفيرهم!! وهذا كله من الباطل والضلال المبين الذي نبرأ إلى الله تعالى منه" .

- ومنها: ما يرون من علامات الصلاح وحسن الإيمان كما أخبر عنه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الكثيرة وعلامات حسن الخاتمة لكثير من المسلمين، ولا سيما المجاهدين والشهداء، ويرون صبر الصابرين وقوة إيمان ويقين المؤمنين الموقنين، والحال أنهم يحكمون عليهم جميعا بالكفر وعدم الإسلام، فيظلون في تناقض كبير لا يعلمه إلا الله، ولا يمكنهم -في قرارة أنفسهم- دفعُه لكثرته وقوة دلالته وفطريته.!

- ومنها تكفيرهم لعموم علماء الأمة وفيهم العلماء الكبار أهل الصلاح والصدق والفهم والتحقيق، في حين أنهم ينظرون إلى أنفسهم عند المقايسة فيجدون أنفسهم جهلة عالة على هؤلاء العلماء.!

- ومنها التناقض من جهة أنهم حين يكفرون عامة قرون الأمة المتأخرة إلا نفرا قليلا، يحصل عندهم وسواسٌ وشك في صحة نقل الدين ووصوله إليهم، فإن الدين (القرآن والسنة وشروحهما، وما في معناهما من الإجماعات والأقيسة الصحيحة، وكذا آدوات فهمهما كاللغة العربية وعامة علوم الآلة) إنما وصلت إليهم بواسطة هذه القرون لا محالة، فإذا كانوا كفارا فكيف يؤتمنون على نقل الدين وشروحه، فيحصل عندهم تناقضٌ كالذي يحصل عند الروافض المارقين، فإما أن يهتدي الواحدُ منهم أو يتزندق، والعياذ بالله.!

- ومنها أنهم يكتشفون كل يومٍ أدلة جديدة تناقض مذهبهم فيتعسّفون في ردها، لكن تغلبهم مع كثرتها وقوتها وتظافرها! ولا يكون منهم إلا المكابرة تلوَ المكابرة حتى يستيقنوا في قرارة أنفسهم أنهم مكابرون، ولكن يطبع الله على قلوب كثير منهم فهم لا يرجعون، ومن ذلك ما يطلعون عليه مثلا من أقوال لبعض علماء الدعوة النجدية الذين يعظمونهم في أول الأمر، ثم يكفرونهم ... تخالف ما ذهبوا إليه، بل وأقوالٍ للشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه، بل وشيخ الإسلام ابن تيمية،

وغيره من العلماء والأئمة، ومن ذلك ما يرونه منهم إما من نصوص كلامهم أو من مسطور سيَرهم من سماحةٍ وإعذارٍ للمخالفِ ورحمة بالجاهلين، فيظلون زمناً يتعسّفون في ليّ أعناق أقوالهم ومواقفهم المحكمة، لكن يضعف في قلوبهم احترامُهم ومحبتهم، ثم ينتقلون إلى التشكيك فيهم، ويهابون تكفيرهم زمناً، لأن عامة ضلالتهم انبنت على فهمٍ سيّءٍ لأقوال هؤلاء الأئمة، ويخافون من ظهور تناقضهم والافتضاح أمام الناس، ثم قد يصلون إلى درجة لا يبالون بشيء ويكفرونهم كما ذكرنا.

• ومنها أنهم مع مرور الوقت أيضا يكتشفون كثرة وقوة مناقضتهم لمقاصد الشرع ومبانيه وأصول الدين المتقررة بأنواع الدلالات غير النصّيّة، فإنهم يجدون أن الشرع يميل إلى العذر ويتشوّف إليه، ويكثر من مدحه والحث عليه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وليس أحدٌ أحبَّ إليه العذرُ من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل" (متفق عليه وهذا لفظ مسلم)، كما يتشوّف إلى التيسير والسهولة والتخفيف، وهم بعكس ذلك كله، فيوجب لهم ذلك تأنيب ضمير مضافا ومكرراً، حتى ليصل الحالُ ببعضهم إلى أن يكره أن يسمع أو يقرأ من القرآن والحديث آيات وأحاديث التيسير والعذر والتخفيف ونحو ذلك !

وهذا هو شأن صاحب البدعة والفسوق (وهو الخروج عن طاعة الله تعالى وصراطه المستقيم) أنه يصير عنده حرجٌ من الآيات والأحاديث التي تخالف بدعته وفسقه، فيدخل بذلك تحت طائلة قول الله عز وجل: "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيتَ ويسلموا تسليماً"، وقد ذكر هذه الفائدة ابنُ القيم في بعض كتبه، ونقل في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية عن ابن أبي حاتم وعبد الله بن الإمام أحمد في كتابيهما السنة، أنهما رويا عن الجهم بن صفوان أنه تلا قوله تعالى "الرحمن على العرش استوى" فقال: لو وجدتُ السبيلَ إلى أن أحكها من الصحف لفعلتُ.

نسأل الله العافية والسلامة والتثبيت على الحق. آمين ... وكل ذلك -أيها الإخوة- مصداقٌ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنطعون" قالها ثلاثا صلى الله عليه وآله وسلم. (رواه مسلم وأحمد وأبي داود).

قال في النهاية في غريب الحديث: "هم المتعمقون المغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولا وفعلا"اهـ

قال العلماء: وهذا إما أن يكون دعاء أو خبراً، فإن كان دعاء فدعاؤه صلى الله عليه وسلم مستجاب، وإن كان خبراً فخبره صدق وحق لا يتخلف، فقد أخبر أنهم هالكون لامحالة! والعياذ بالله.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الدينَ يسرٌ ولن يشادّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه"(رواه البخاري والنسائي)، أي إلا غلبه الدينُ، فيصير الإنسان مغلوبا، لا يقدر على حمل هذا الدين والقيام به، لماذا؟ لأنه شادّ الدين أي أخذه وتناوله وتعاطاه بالشدة وحاول أن يغلبَ الدينَ ويكون شديدا فيه ومعه، مع أنه دينٌ يسرٌ سهلٌ سمحٌ.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين" (رواه أحمد والنسائي وغيرهما). فانظر كيف أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن سبب هلاك من قبلنا من الأمم غلوهم في دينهم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "بعثتُ بالحنيفية السمحة"(رواه أحمد والطبراني)، فهو دينٌ سمحٌ سهل يسير، ليس فيه مشقة خارجة عن المعتادِ بحيث توقع المسلم في حرج وضيق وتعنّتٍ، كما قال الله عز وجل وتبارك وتعالى: "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ

سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ". وقال: "يريد الله بكم اليسرَ ولا يريد بكم العسر".

وقال عز وجل: "ولو شاءَ الله لأعنتكم إن الله عزيزٌ حكيم" أي لأوقعكم في العنت وهو الضيق والشدة والمشقة العظيمة القاهرة، أي ولكنه لم يفعل بل كان بكم رحيما لطيفا يسّر عليكم ولم يكلفكم إلا ما تطيقون من الأعمال في معتاد أحوال البشر، والحمد لله رب العالمين.

وقال تعالى: "وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ" أي لوقعتم في العنت وهو الضيق والشدة الشديدة "وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ" .

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة معروفة والحمد لله .

والمقصود التحذير من حال هؤلاء بضرب الأمثال، وتعريف إخواننا الطيبين سوءَ أحوالهم ووخامة مآلهم، وما يحتوون عليه من تناقضات تؤدي بهم إلى الكفر الصريح في كثير من الأحيان، وإلى المروق الصريح من الدين بالفسوق والعصيان الواضح[١] .

(١) حدثني بعض الفضلاء من أهل خراسان (وهم الآن في الشام) أن جماعة من "الأعاجم" كفّروا الملائكة لأنهم سجدوا لآدم، وحكموا بتوحيد إبليس لأنه امتنع عن السجود لغير الله !! (على مذهب عبدة الشيطان والعياذ بالله) وكان هذا في منطقة (أنگورادا) في أفغانستان .

ولهذا عنون الشيخ أبو محمد المقدسي -فرج الله عنه، وهو الخبير بهم العارف بطرق ضلالاتهم- كتابه الرسالة الثلاثينية بـ "رسالة الجفر في أن الغلو في التكفير يودي إلى الكفر"[1].

ولا شك أن هذا الذي عليه هؤلاء القوم ليس هو حال "المسلم" الذي وصفه القرآن والسنة، ولا هذا الدين هو دين الإسلام كما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لا والله ! إنما هؤلاء مارقون، مرقوا من الدين من باب الغلوّ والتشدد والإفراط والزيادة في الدين، كما أن العلمانيين والمتزندقة الملحدين العصريين وأمثالهم مرقوا من الدين من باب النقصان منه والتفريط فيه والترك له اتباعا لشهواتهم، وهذان هما سبيلا الشيطان لإخراج الناس من النور إلى الظلمات.

كما قال بعض السلف: ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالي بأيهما ظفر؛ إما غلو فيه، وإما تقصير عنه.

وانتظروا وسوف ترون بأم أعينكم كيف يؤول إليه حال هؤلاء المفتونين المارقين المخلف وأتباعه، إن استمروا في هذا الطريق ولم يتداركهم الله برحمته.

---

(١) يقول الشيخ الرشيد (إصلاح الغلط في فهم النواقض) :" ولا تجد من كَتَب في الرد على من يغلو في التكفير أحسن من أبي محمد المقدسي فكَّ الله أسره، لوضوح مذهبه وصحة أصوله وقواعده في أبواب التكفير والإيمان، ولصدعه بالحق دون مداهنة فيما نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدًا. وكتاب أبي محمد المقدسي موسوم بالثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير، وهو كتاب نفيس لا يستغني عنه طالب العلم، وأكثر من نَفَر من أبي محمد ونفَّر وحذَّر، لم يقرأ له حرفًا، ولم يعلم من مقالته شيئًا، ولو أنصفوا ونظروا في أصوله وقواعده لعلموا أنَّها الحقّ، إلاَّ ما لا يسلم منه أحد من الخطأ اليسير في الفروع والمسائل الاجتهادية".

ويقول في (هشيم التراجعات) :" فلا تجدُ ردًّا أمثلَ من ردِّ أبي محمَّدٍ المقدسيِّ فكَّ الله أسره على من غلا في التكفير في رسالته النافعة الموسومة بـ"الثلاثينية في التحذير من الغلوِّ في التَّكفير".

ووالله لقد رأيناهم وجربناهم في أكثر من بلدٍ يتركهم الطواغيت المرتدون يرتعون ويسرحون ويمرحون في البلاد لا يمسونهم بسوء، رأينا ذلك بأم أعيننا وجربناه في ليبيا في أواخر الثمانينات من القرن الإفرنجي الماضي، حين كانت الحملات على الإخوة الملتزمين على أشدها من قبل الطاغوت القذافي وزبانيته واستخباراته، ومع ذلك كانوا يتركون الخوارج "التكفيريين" ولا يقربونهم بل يفسحون لهم كل مجال، لماذا؟ لأنهم يدركون أنهم يقدمون لهم خدمة مهمّة، وأنهم لا يشكلون أي خطر عليهم، بل هم أعوانٌ لهم في الحقيقة على المسلمين المستضعفين !! كيف لا ؟! وصفتُهم التي وصفهم بها الصادق المصدوق أنهم "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان". وهكذا سمعنا عنهم في أماكن وبلدان أخرى، والقصص متشابهة في كل مكان، وسترون ذلك في هؤلاء أيضا، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وهذا لعمر الله برهانٌ لمن كان له قلبٌ وتدبّرٌ وإرادة للحق، إذ كيف يرضى الطاغوتُ عنهم ويتركهم يسرحون ويمرحون في البلاد، لو كانوا على الحق وجادّة التوحيد وطريق محمدٍ صلى الله عليه وسلّم.!

لكن الطاغوت يدرك أنهم بذرة فساد في "الجماعة المسلمة" أي في وسط المسلمين، فيتركهم يفسدون وربما دعمهم وفسح لهم وأمدّهم في طغيانهم ليضرب بهم المسلمين! وحسبنا الله ونعم الوكيل،"ويمكرون ويمكرُ الله واللهُ خيرُ الماكرين"[١].

---

(١) يقول الأستاذ أبو مصعب السوري في سلسلة سرايا المقاومة الإسلامية العالمية (ش 13) : "سياسة مكافحة الإرهاب هي : تطوير تيار التكفير، والسماح له، وإعطاء إقامات، وإعطاء جنسيات في أوروبا، والسماح له بمواقع في الإنترنت، وتوزيدهم بالأموال، وتركهم يسافروا ويدخلوا ". ويقول :" التكفير وُلِد [سنة 65] عفوياً ، والآن نحن أمام تكفير يصنع حكومياً".

ويقول في سلسلة الجهاد هو الحل (ش 21):"أصبح تيار التكفير الخيار الأساسي للإستخبارات الدولية في ضرب الجهاد"، ويقول أيضاً :"التكفير آخر سهام الصائل الدولي في نحر الجهاد".

وهذه كانت مقدمة نصحاً لإخواننا وتذكيراً وتنبيها لمن أراد أن يتعظ ويعتبر، فإن العاقل من اعتبر بغيره، واتعظ، ولا يجرب كل شيء بفسه، إذن لهلك الناسُ كلهم لو أراد كل أحدٍ أن يجرب كل شيء! والسعيد من وقيَ الفتن، فاجتنبوا الفتن، وابتعدوا عنها وعن أهلها، واعتصموا بالله تعالى وأكثروا من الدعاء والإلحاح على المولى عز وجل أن يمن عليكم بالهداية والسداد، فإن التوفيق كله بيد الله تعالى وحده لا شريك له.

وأنبه إلى أن المقصود مما تقدم هو الكلام على صفات وأحوال ومآلات أمثال هؤلاء وجنسهم وضئضئهم، ولا يلزم منه أني أحكي عن هؤلاء المفتونين الحاليين الآن كل ما ذكرته من تفاصيل، فقد يكون فيهم الآن قليلٌ أو كثير مما ذكرنا، وهم على خطرٍ عظيم، فليعتبر المعتبرون وليتفكرْ أولو الألباب، نسأل الله العافية والسلامة". ا.هـ

-4-

قتالهم وقتلهم[١]

يقول الشيخ عطية الله_رحمه الله_ عن الخوارج **"الأوائل"** :"الصفات التي بها كانوا "خوارج" مستحقين للقتال والقتل كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أينما وجدتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم" هي ... :

– أنهم يكفرون عموم المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم، فمن لم يكن منهم ويعتقد اعتقادهم ويواليهم ويبرأ ممن سواهم (من أهل الإسلام) كفروه واستحلوه، بدعاوى مختلفة تتخذ صوراً متنوعة متقاربة من عصرٍ إلى عصر.!

– أنهم ينشغلون بقتل أهل الإسلام (لأنهم يكفرونهم ويرونهم أهل ردة، ويستحلونهم، فيجدونهم لقمة سائغة عندهم ولا سيما ضعفاؤهم) ويتركون قتال وقتل أهل الكفر الأصليين فلا ينشغلون بهم ولا يولونهم أهمية، قال صلى الله عليه وسلم: "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان".

– أنهم يكفرون المسلمين بكبائر الذنوب، بل بكثير من الصغائر، وحاصله أنهم يعتقدون ما ليس كفراً من المعاصي والذنوب كفراً، إما بشكل كليّ (قاعدة كلية: كقولهم مثلا: كل من عصى الله فإنه لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر لقوله تعالى "ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون") ، أو بشكل جزئي كثير الأفراد بحيث صار -بسبب كثرة أفراده أي مسائله التطبيقية- بمنزلة الكليّ. فهذه أهم ثلاث صفات لهم ". إ.هـ

---

(١) لقاء شبكة الحسبة ، وبتصرف يسير

قلت : وخوارج هذا العصر درجات في هذه الثلاث، وأكثرهم بدّل فيها وزاد عليها، بما هو أشنع وأفضع (في الأصول والسلوك)، كما بينه الشيخ عطية الله والطرطوسي وغيرهم . والله وحده الهادي .

-5-

العصمة منهم[1]

"والعصمة من فتنة هؤلاء المفتونين المارقين تكمن في أمورٍ مهمة منها بعون الله تعالى ما يلي:

الأول: التمسك بالإيمان الجُمليّ، ولْيَقُل الإنسان في التفاصيل والفروع التي لا يعلمها ولم يقف على علمٍ فصلٍ فيها، ولا حررها ولا حققها: لا أعلم، ولا أدري، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ولا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: "يا أيها الناس مَن علم شيئاً فليقل به، ومَن لم يعلم فليقُل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم، قال الله تعالى لنبيه "قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين" متفق عليه.

واعلموا أن هذا أصل عظيم من أصول منهج الإسلام والصراط المستقيم، فإن المطلوب من العبد ابتداء هو الإيمان الجُملي، وهو الاستجابة المبدئية لله والرسول، وهو معنى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لأن معناها: التوجه بالعبادة إلى الله وحده لا شريك له، وخلع كل معبود سواه والكفر به، واتباع نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كل ما جاء به، وتصديقه في كل ما أخبر.

هذا هو الإيمان والتوحيد والإسلام الجملي . ثم التفاصيل تأتي تباعاً بحسب العلم، وهي درجات، وليست كل الفروع وتفاصيل الإيمان وشعبه في درجة واحدة كما دل عليه حديث "الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة فأعلاها لا إله إلا الله، وأدناها

---

[1] عطية الله، جواب سؤال في جهاد الدفع، وباختصار يسير .

إماطة الأذى عن الطريق" وغيره من الأدلة، وهذه مسألة لا خلاف فيها بين أهل العلم.

فالإيمان التفصيلي يختلف من شخص إلى آخر بحسب العلم، أي بحسب بلوغ العلم للشخص، واجتهاده وتعلمه ومعرفته بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وبما دلت عليه شريعته، فالعالم غير العامي الجاهل، والمتخصص في علوم الدين والشريعة غير الفلاح الأمي في مزرعته، والعجوز الفانية في قريتها، وهكذا.

فمن وصله العلم بمسألة وتحققها وحررها وعرف أنها صحيحة النسبة إلى دين الله تعالى بأن عرف دليها من الكتاب والسنة إن كان هو من أهل العلم والنظر والفهم للكتاب والسنة ومعرفة الدلالات، أو بأن سأل عالما موثوقا في دينه وعلمه فدله عليها وشرحها له فتلقاها منه وأخذها عنه، فهذا يجب عليه أن يؤمن بهذا العلم الذي دل "الدليل" على أنه من دين الله، تحليلاً أو تحريماً، خبراً وقضاءً، ووعداً ووعيداً.

وأما مَن لم يصله العلم (لم يبلغه) فإنه لا يجب عليه، وقد يجب عليه البحثُ والتعلم والطلب والسؤالُ، ويُؤاخَذُ على التقصير، وقد لا يجبُ، فالعلم منه الواجب العيني ومنه الكفائيّ والمستحبّ، وهكذا، والمقصود أن الوصية الكبرى للإخوة أن يتمسكوا بالإيمان الجملي، إيمان العجائز إن شئتم ! ويتركوا ما لا يستطيعون فهمه وتحقيقه من المسائل إلى أهلها المتخصصين من أهل العلم.

ويقولوا: "آمنا به كلٌ من عند ربنا" ويكلوا ما لم يفهموه وما لم يقفوا على تحقيقه إلى الله عز وجل، والله سبحانه يفتح عليهم بالتوكل والصبر والصدق في البحث والطلب، وبإتيان الأمور من أبوابها، وعدم الاستعجال المذموم.

فأوصي إخواني بالحذر من هؤلاء المفتونين والبُعد عنهم والمتاركة لهم، ولا يسمعوا لهم ولا يجادلوهم ولا يماروهم إلا مراءً ظاهراً إن كان لابدّ، وليصبروا وليثبوا على دين الله تعالى، ولا يستعجلوا في السعي في مناظرتهم أو تحصيل الجواب على كل إيراداتهم، وليتمسّكوا بالمحكمات الواضحات البيّنات في دين الإسلام، وليقتدوا بالأئمة الراسخين في العلم وما عليه عمومهم وليحذروا من الشذوذ والتفرد، وليكلوا علمَ ما لم يعلموه إلى الله تعالى، والله يفتح عليهم.

قال ابن القيم رحمه الله : وقال لي شيخ الإسلام رضي الله عنه وقد جعلت أورد عليه إيرادا بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرّاً للشبهات. أو كما قال فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك، وإنا سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس فيعتقد صحتها وأما صاحب العلم واليقين فإنه لا يغتر بذلك بل يجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها فينكشف له حقيقتها ... إلخ كلامه فانظره بتمامه في مفتاح دار السعادة وتأمّله فإنه حكمةٌ.

الثاني: تدبروا أحاديث الإيمان وانظروا فيها وتأملوها، وانظروا كيف كان الرجل يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول له ما الإيمان فيقول مثلا: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجلٍ: أسلم تسلم، قال: وما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك، قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

وبالبعث بعد الموت، قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة، قال: وما الهجرة؟ قال: أن تهجر السوء، قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد، قال: وما الجهاد؟ قال: أن تجاهد أو تقاتل الكفار إذا لقيتهم ولا تغلل ولا تجبن، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما قالها ثلاثا: حجة مبرورة أو عمرة.

وفي حديث آخر: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الإسلام؟ قال: إطعام الطعام وطيب الكلام قيل: فما الإيمان؟ قال: السماحة والصبر، قيل: فمن أفضل المسلمين إسلاما؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده، قيل: فمن أفضل المؤمنين إيمانا؟ قال: أحسنهم خلقا، قيل: فما أفضل الهجرة؟ قال: من هجر ما حرم الله عليه، قيل: أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت، قيل: أي الصدقة أفضل؟ قال: جهد مقل، قيل: أي الجهاد أفضل؟ قال: أن تجاهد بمالك ونفسك فيعقر جوادك ويراق دمك، قيل: أي الساعات أفضل؟ قال: جوف الليل الغابر.

وكلها أحاديث صحيحة. ونحوها كثير معروف .

فانظروا إلى هذا الدين ما أسهله وما أكمله وما أحكمه، وما أبعده عن وسوسة الموسوسين وهرطقة المهرطقين وسفسطتهم، وإنه دين الأميين "هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم"، "النبي الأميّ الذي يؤمن بالله وكلماته" "نحن أمة أمية لا نحسب؛ الشهر هكذا وهكذا وهكذا".

وقارنوا بما ترونه من تنطع هؤلاء المفتونين وتشديدهم وتصييرهم الدينَ كأنه قانون وضعيّ وضعوا له من عند أنفسهم حدوده ورسموا له سطوره، فمن خالف شيئا مما رسموه اعتقدوه خارجا عن الدين، قاتلهم الله أنى يؤفكون!

فهؤلاء المفتونون يقعّدون قواعد من عند أنفسهم ويضعون حدوداً لدين الله تعالى ويصوغونها بعبارات مستحدثة، يحاكمون الخلق إليها فمن دخل فيما دخلوا فيه فهو المسلم وما لا فهو كافرٌ !

وهذا شأن أهل الأهواء والبدع دائما، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ولكن من شأن أهل البدع أنهم يبتدعون أقوالا يجعلونها واجبة في الدين، بل يجعلونها من الإيمان الذي لابد منه، ويكفرون من خالفهم فيها ويستحلون دمه، كفعل الخوارج والجهمية والرافضة والمعتزلة وغيرهم، وأهل السنة لا يبتدعون قولا ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ وإن كان مخالفا لهم مستحلا لدمائهم" ..

الثالث: المعرفة بالشرّ لتتقوه، والاتعاظ والاعتبار بالأشباه والنظائر ... فمن لم يتعظ ولم يعتبر، فلا يلومنّ إلا نفسه! "أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً"!

فمعرفة حال هؤلاء موجِبٌ للعاقل أن ينفر منهم، ويعرف العاقل اللبيب المريد للخير والحق والهدى أن هؤلاء مجانبون لدين النبي صلى الله عليه وسلم وهديه وطريقته وسنته، وليسوا منها في شيء، فينفر منهم ويجانبهم ويجانب طريقتهم، ولا يجعل لهم على نفسه سبيلا بالوسوسة والتشكيك.

الرابع: التمسك بالمحكمات الواضحات البينات القطعيات المعلومات من الدين، ثم ما أشكل من مسائل وما يَرِدُ على الإنسان من "استشكالات" (أي مسائل يستشكلها ويحار فيها ولا يعرف كيف الجواب عليها) فعليه ألا يتسرّع في الجواب عليها أو قبول جواب من القوم الضالين المفتونين، بل يصبر وينتظر حتى يتثبت ويسأل أهل العلم والثقة، فإن فتح الله عليه بعلم ما لم يكن يعلم، وبزوال الإشكال واتضاح الأمر، فليحمد الله، وإلا فليحمد الله أيضا، فإن الله عز وجل هو المحمود على كل حال، وهو المتفرد بالحمد كله، وليصبر وليكل علم المسألة

إلى الله تعالى وليقل: " آمنا به كلٌ من عند ربنا" ولا يضره، وليقل: يا ربّ لو أعلم أين الحق وأين الصواب وأين ما تأمر به وتحبه لاستجبت له واعتقدته وعملتُ به جهدي وطاقتي، فهذا هو الدين وهذا هو التوحيد، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ولا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها.

قال الله تعالى: "هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَاوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَاوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الألْبَابِ"

الخامس: المعرفة بأن هؤلاء القوم الخوارج المارقين المفتونين أعاذنا الله وإياكم من حالهم وسبيلهم، مبنى طريقهم الضال على: "التشدد في الدين والتعمق" الذي ذمته الشريعة وحذرت منه ونهى عنه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى التنطع.

والتنطع معناه ما تقدم: التشدد والتعمق المذموم والتكلف وعدم الاكتفاء بما سهله الله وبسّره ومنّ به من اللطف والتيسير، بل أن يطلب الإنسان الأشد والأقسى والأوعر، ظانا في نفسه القدرة على ما لا يستطيعه سائرُ الناس، وغالبا ما تكون وراءه شهوة خفية في طلب التميّز على الناس والغلبة للأقران، وكل هذا خلاف سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهديه وسيرته وخلقه، قال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه في كتاب الأنبياء: باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ساق أحاديث منها حديثُ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها".

السادس: معرفة أن من أصول ضلال هؤلاء القوم المارقين أنهم لا يفرقون بين درجات المسائل ومراتب الأدلة وإن زعموا خلاف ذلك فالواقع يكذبهم تكذيباً صريحاً، وينزّلون الظنيات منزلة القطعيات كما ذكره علماؤنا رحمهم الله عن الخوارج.

وأنتم ترون كيف يسمّون استدلالاتهم المتهافتة "قواطع" و"الأدلة القاطعة" ونحو ذلك ! ... وترون كيف هم بعيدون جدا عن طريقة أهل العلم من السلف الذين يقولون نظن كذا ونرى كذا، ونحسب، ونخشى، ويعجبنا كذا ولا يعجبنا كذا، حتى تمثّل بعضُهم (منهم الإمام مالك) بهذه الآية حين سئل عن بعض المسائل: "إن نظنّ إلا ظنا وما نحن بمستيقنين".

وسيجيبكم هؤلاء المفتونون الزائغون بالقول: إن هذا إنما هو في مسائل الفروع الفقهية وفروع الأحكام الشرعية الاجتهادية، وهذا حق، ولكن من الحق أيضا أن كثيراً من المسائل التي يتبناها هذا المخلف وأتباعه الزائغون إنما هي مسائل فقهية فرعية اجتهادية، وعلى رأسها أمُّ مسائلهم (كسابقيهم من جماعات التكفير والهجرة والخوارج المعاصرين يبدؤون الانطلاق من هذه المسألة) وهي مسألة العذر بالجهل، فهذه مسألة فقهية ينظر فيها الفقيه، وهم يجعلونها من مسائل "أصول الدين والاعتقاد" ومن قواطع مسائل التوحيد.

وكذا مسألة مَن لم يكفر الكافر أو شك في كفره، أعني تطبيقاتها وفروع تفاصيلها في الواقع، وكذا مسألة هل الكفر والشرك شيءٌ واحدٌ، أو بينهما فرقٌ وما هو الفرق؟

وغيرها من المسائل عامتها مسائل فقهية من مسائل الأحكام الشرعية، علمها مَن علمها وجهلها من جهلها، ويتفاوت الناس في تحقيقها والعلم بها، وسائرها مسائل اجتهاد لا يزال العلماء قديما وحديثا يختلفون فيها أو في تنزيلها على الوقائع والأعيان، ولا يوجب ذلك تفرقا ولا تنازعاً ولا مشاحنة، بل قلوبهم سليمة متوادة متحابة، يعذر بعضهم بعضاً، وإنما الجهالُ الضلال الذين يضيقون ذرعا بمن يخالفهم في "قطعياتهم المزعومة" هم الذين يوالون ويعادون ويضللون ويكفرون وفق ما أملته عليهم أهواؤهم الزائغة وعقولهم المنحرفة.

السابع: معرفة أن هؤلاء القوم جهلة وكذبة أيضا، وأصحاب أخلاق سيئة فاسدة، وأنهم ما أتوا –في الغالب– إلا من فساد في نياتهم وقلوبهم وأمراض دفينة، من العجب والغرور وطلب العلوّ على الخلق والترفع والكبر _ والعياذ بالله_ قال الله تعالى: "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم"، وقال تعالى: "واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون"، وقال تعالى: "ويضل الله الظالمين" وقال تعالى: "إن الله لا يهدي القومَ الفاسقين"[(١)].

الثامن: لابد أن يعلم الإخوة الطيبون المريدون للحق والراجون لرحمة الله تعالى والمبتغون لمرضاته أن العلمَ يؤخَذ عن أهله ومَن عُرفوا به وحصلت لهم التزكية فيه، وعُرفوا بالاستقامة والسداد في الجملة، وصلاح الحال والعدالة والثقة، والبُعد عن الشطط والإفراط والتفريط، والبُعد عن الولوع بالإغراب والتفرّد والشذوذ.

(١) يقول الشيخ أبو قتادة _سلمه الله_ في مقال (بين منهجين "40") :" ولقد رأينا قسما من هؤلاء فوجدناهم من أرذل الناس خلقا، وأفسد الناس نية، وعامتهم يغلب عليهم التقية، إذ يقابلونك بوجه لا يعبر عن شيء من بواطنهم، وهم يصرحون ليل نهار، أن الجماعات الإسلامية وخاصة المجاهدة هي حجر العثرة التي تقف أمام فكرهم المبتدع، وضلالتهم الخبيثة".

فكيف يسمح مسلمٌ -بل إنسانٌ عاقلٌ أصلاً- لنفسه أن يأخذ دقيق المسائل التي لا يفهمها جيدا، وإنما هو فيها مقلد محضٌ، أو كالمقلد المحض، من شخصٍ لا يعرف مرتبته في العلم ولا تزكية أهل العلم والصلاح والخيرية في الدين له، ولم يبلُه في جهادٍ وعمل صالحٍ، ولا عاشره ولاعرفه بحيث تحصل له الثقة الكاملة في دينه وتقواه وورعه، والحالُ أنه قد خالف سائر العلماء وأهل الخير والصلاح والزعامة والإمامة في المسلمين، وتفرّد وشذ وشطّ !

فأدنى ما يوجِبُ ذلك للعاقل أن يتريّث ولا يتسرّع في قبول ما يقوله مثل هذا (كالمخلف ونحوه) ولا يتبنى قولا قد ظهرت عليه علامات الشذوذ والغرابة!

ولهذا كثر تحذيرُ السلف رضي الله عنه من غرائب العلم والمسائل، ودلت دلائل الشرع على فضل الكون مع "الجماعة" ومع "السواد الأعظم" مهما أمكن، أي في غير المحل الذي اتضح فيه الحقُ للإنسان اتضاحاً بتّاً، فإنه حينئذ يتبع ما تبيّن له من الحق بدليله وبرهانه، وإن خالف الناسَ كلهم وخالفوه، وحينئذ فإن الحق هو الجماعة ولو كنت وحدك كما قال ابن مسعود رضي الله عنه.

ولهذا أيضا فإن الصحيح عند جماعة من أهل العلم أن "رأي الجمهور" وهم أكثر أهل العلم من المرجّحات عند تكافئ الأدلة لدى الناظر.

والغرابة علامة و"مؤشّرٌ" كما نقول في لغة اليوم، على فساد القول وعدم صحته، وهي توجب التريّث والتثبت ومزيد الحزم في النظر والبحث، وترك العجلة، ولا سيما إذا جاءت من مغمور جاهل متشبع بما لم يعط ... ومن التزم ما ذكرناه من ضوابط وتوصيات نافعة، مع سائر أسباب الهداية، ثم استعان بالله تعالى وصدق في الطلب والدعاء وألحّ على الكريم المنان، فإن الله تعالى يفتح عليه ويهديه لا محالة!" إ.هـ

-6-

إشكالات

- **مخلصون !**

يقول الشيخ عبد الله عزام ــرحمه اللهــ في تفسير سورة التوبة :" سبحان الله ! الإخلاص وحده لا يكفي، لا يشك أحد أن الخوارج مخلصون، ولكن لا يشك أحد أن الخوارج ضالون، فالإخلاص وحده لا يكفي، فلا بد من الإخلاص مع العلم والاستقامة .

ومن هنا قد يطعن الإنسان هذا الدين بإخلاصه على جهل، كالذين يشوشون الآن على الجهاد الأفغاني، لا يدرون أنهم يطعنون هذا الدين، ولا يدرون أنهم يؤذون المسلمين وهم مخلصون، ولا يشك أحد –والله أعلم– في إخلاصهم ولا في صدقهم.

ولذلك كما قال سيدنا علي رضي الله عنه وقد اكتوى بنار الخوارج: (قصم ظهري رجلان، عابد جاهل وعالم فاجر)، وهؤلاء يقصمون الإسلام، كالدب الذي يقتل صاحبه.

دب يحسن له صاحبه، فنام صاحبه تحت شجرة فحط الذباب على وجهه، طردها الدب، لا يطيق ذبابة أن تحط على وجه صاحبه، ثم رجعت الذبابة فطردها الدب، المرة الثالثة غضب عليها غضباً شديداً وجاء بصخرة عظيمة وألقاها على الذبابة فقتلها وقتل صاحبه. المهم قَتْل الذبابة ولو كان في ذلك قتل صاحبه !" . إ.هـ

- عُبّاد وشجعان !

يقول الشيخ عبد الله عزام ـرحمه اللهـ في تفسير سورة التوبة : "والخوارج ما رأى العرب ولا المسلمون أعبد ولا أشجع منهم، كانوا اشجع العرب، وكانوا أعبد العرب" .

ويقول: " الخوارج ... رجال شجعان عباد، ولكن في ضلال مبين، أعوذ بالله انحرفوا من ناحية أخرى". إ.هـ

ويقول العلامة سليمان العلوان (شرح تجريد التوحيد) :" تأمل في حال الخوارج فإنهم أكثر من الصحابة قياماً وأكثر صياماً وأكثر اجتهاداً، بل قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:"(تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم"، وهذا الحديث متواتر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - رواه الشيخان وغيرهما لكن ماذا قال - صلى الله عليه وسلم -: "يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية" . افتقدوا أمر مهم وهو المتابعة للنبي - صلى الله عليه وسلم - في هديه وسيرته وطريقته، عوضاً عن أن يقتلوا أهل الأوثان قتلوا أهل الإسلام !".

- فُصحاء وأصحاب حجة !

يقول الأستاذ الأديب شوقي ضيف[1] :"كان للخوارج خطباء كثيرون مفوهون، وكانوا يعنون عناية شديدة بإعداد كلامهم، حتى يجذبوا القلوب إليهم، ولعل ذلك ما جعل عبيد الله بن زياد يقول فيهم: "إن كلامهم أسرع إلى القلوب من النار إلى الهشيم[2]"، وروى المبرد أن عبد الملك بن مروان أتى رجل منهم، فجعل يبسط له من قولهم، ويزين له من من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ مبينة ومعان واضحة، فقال عبد الملك: "لقد كاد يدفع في خاطري[3] أن الجنة خلقت لهم، وأني أولى بالجهاد منهم، ثم رجعت إلى ما ثبت الله علي من الحجة وقرر في قلبي من الحق".

يقول الشيخ عطية الله ــ رحمه الله ــ[4] :" كيف يسمح الإنسانُ العاقلُ لنفسه أن يغترّ بفصاحة متحدث أو ما يبدو من قوة في استدلالاته بالقرآن والأحاديث وكلام العلماء ؟! وهو لا يُحسِن فهم تلك الاستدلالات ولا تحقيقها، ولا يعرف ما وراء ألفاظها الحسنة وظواهرها الجذابة، ولو جاءه رجلٌ آخر أفصح منه وأقوى مجادلة لقلبَ عليه دينه ولاتبعه، كما قال الإمام مالكٌ رحمه الله: "كلما جاءنا رجلٌ أجدل من رجل نترك ما نزل به جبريلُ على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله؟!"، وهكذا يجعل دينه عرضة للمتفاصحين

---

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي .

(٢) في الكامل لابن المبرد (لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع).

(٣) في الكامل لابن المبرد (لقد كاد يوقع في خاطري) .

(٤) جواب سؤال في جهاد الدفع .

والمتفيهقين الذين حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خطرهم وذمهم لنا. كيف يسمح الإنسانُ العاقل لنفسه بهذا وهو يرى ما أشرنا إليه من الإغراب والتفرد والشذوذ والقسوة والشطط والمناقضة للبدهيات؟! هذا والله عجيبٌ، ومَن هلك فلا يلومنّ إلا نفسه !" **ا.هـ**

- التكفير حق وحكم شرعي !

يقول الشيخ حسين بن محمود _سلمه الله_[1] :" نعم، التكفير حكم شرعي، وهو من أهم الأحكام الشرعية، وبه تُحفظ حوزة الدين من الدخلاء والمتلاعبين والمشككين، والتكفير حصن للدين وصون له من الاختلاط بغيره، فهو أمر غاية في الأهمية، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: "من بدّل دينه فاقتلوه"، فهذا حكم شرعي، ودين لا تكفير فيه ليس بدين، ففي إلغاء التكفير إلغاء للدين كله: إذ بدون التكفير لا يُعلم المسلم من الكافر، فلا يجوز تعطيل المسألة، ولكن ينبغي لكل مسألة أن تكون مضبوطة بضوابط شرعية، ولو فتحنا الباب لكل أحد فلن يبقى مسلم على وجه الأرض إلا وناله حظ من التكفير . يجب أن ندرك بأن مسألة التكفير هي من اختصاص أهل العلم، ولا نقصد أن يكون الأمر بابوي، فديننا ليس فيه بابوية، وإنما نقول بأن على من يريد الخوض في أي شيء أن يكون عالماً به، وإلا أتانا بالعجائب، وكم رأينا أقوالاً وأحكاماً يُطلقها البعض يضحك منها الطفل في

(١) رسالة في (مسألة في تكفير أهل البدع والأهواء وتكفير المعين لشيخ الإسلام ابن تيمية) . والرسالة نافعة ومفيدة جداً ، وقد نقلت منها باختصار ما يناسب الحال .

بطن أمه!! الله سبحانه وتعالى يقول "وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً"، فمن لم يعلم: فليتعلّم، ولكن لا يقول قبل العلم لأن الله سائله عما يقول ... ومن أراد الخوض في الأمر وأراد السلامة في نفس الوقت: فعليه بنقل كلام أهل العلم في المسائل المطلَقة دون أن يحكم على معيَّن أو ينزل الحكم على أحد لم يسبقه إليه عالم، فيعلّم الناس نواقض الإسلام ويحذّرهم منها وينقل كلام أهل العلم فيها(١)، ويذكّر الناس بربّهم وبالآخرة، ويحثّهم على طاعة ربهم ويرغّبهم في جنته، بهذا يسلم المرء من الوقوع في المعصية، وفي نفس الوقت ينشر العلم بين الناس فيحصل له الأجر.

ولنضرب مثالاً على هذا برجل يحتاج إلى زراعة قلب، فأتاه صديق له وقال:أنا أزرع لك القلب،وهذا الصديق عنده دورة في الإسعافات الأولية، فهل يمكّنه من قلبه؟لو فعل فهو آثم.

الواجب أن يبحث عن طبيب مختص في زراعة القلب لأن العملية معقدة جداً، وقد نعرف نحن بعض خطوات العملية: كشق الجلد وفتح الصدر وقطع الشرايين ثم إلصاقها بالقلب الجديد ثم غلق الصدر وخياطة الجلد، هذه خطوات معروفة، ولكن العملية أعقد من هذا بكثير، وتحتاج إلى من له علم وخبرة واسعة، وإلا: كان الموت .

---

(١) يقول العلامة سليمان العلوان_سلمه الله_ (شرح الواسطية) :" نواقض الإسلام تدرس وتعلم بالحديث عن النوع دون الحديث عن العين، وينبغي لكل طالب العلم ولكل عامي من ذكر أو أنثى أن يتعلمها وأن يحفظها لكي يحذرها ولكي يقرر الأصل العام؛ أنه إن فعل ذلك كفر، ولكن حين يأتي التنزيل على فلان وعلان فإن العامي يخرج عن هذا الباب ويقيد هذا بأهل العلم ما لم يكن العامي مقلداً لعالم يروى دينه وعلمه وورعه في هذا الباب" .

فهذه زراعة قلب، وقضية التكفير أكبر وأعقد من هذه العملية، فإنها الحكم بالقتل على شخص، وهذا الحكم يؤثر على أهل بيته، فإن كان الحكم على جماعة أو حزب أو قائد فإن ذلك قد يُحدث فتناً كبيرة وزعزعة لأمن الأمة واقتتال واستحلال لدماء وفروج وأموال ". **ا.هـ**

ويقول العلامة سليمان العلوان _سلمه الله_ (شرح الواسطية) :" ولا تبعث الجرأة على التكفير إلى المنع من التكفير، لأن بعض الناس في هذا العصر تسارع إلى التكفير بدون دليل وهذا صفة أو خصلة من خصال الخوارج . وآخرون حين يرون هؤلاء يكفرون ويتجرؤون على التكفير، يقولون لا نكفر أحداً حتى الذي قامت عليه الحجة وانتفت عنه الشبهة، **وهذا ضلال** .

فكل من قامت عليه الحجة وانتفت عنه الشبهة فإن هؤلاء يكفرون، ولكن يربط هذا الباب بأهل العلم الذين يفهمون معنى إقامة الحجة، ويفهمون معنى إزالة الشبهة؛ لأن طالب العلم المبتدأ قد لا يفهم هذا الباب ولا يميز؛ يحفظ في كلام العلماء من قال ذلك كفر فيطبق على كل مسألة، لكن الفقهاء المعنيين بضبط الحلال والحرام هم أهل القدرة على تنزيل العام على الخاص ووضع الأدلة في مواضعها، وهذا لا يتأتى لطالب العلم الصغير ". ا.هـ

-7-
متفرقات

- يقول الأستاذ أبو مصعب السوري[١] :
- "حتى نُصلح التيار الجهادي، ونعطيه دفعة، لازم على الجماعات الجهادية والمنظرين والكتاب، والمفكرين، وقوّاد السرايا، وأصحاب المعسكرات، وأمراء التنظيمات= أن يسعوا إلى أن يجددوا في التربية" .
- "ما خرب بيت الجهاد أحد مثل التكفير، لأن الجهاد يقوم على أخذ الأمة إلى الجهاد، والتكفير يقوم على تكفير الأمة والبصق عليها ورفسها برى (خارج) الملعب، ونبقى عشرة ! إذا بقينا عشرة مع كل صائل النظام العالمي خسرنا، وهذا الذي يريده النظام العالمي" .
- " التكفير جاء ليقيم سوراً من الإسمنت المسلح بيننا وبين الأمة، وبدون أمة مافي جهاد".
- "ما نزل شر في التيار الجهادي، وفي الجماعات الجهادية، وفي المجاهدين= مثل شر التكفير".

---

(١) الأول والثاني والثالث نقلاً عن سلسلة سرايا المقاومة الإسلامية العالمية (ش13) ، والأخير عن سلسلة مقابلة مع صحيفة الرأي الكويتية، (ش 10 / د 3)، وفيه تفصيل وإنصاف .

تنبيه : الأستاذ هنا يتكلم عن التكفير المذموم، التكفير الشاذ الذي على أصول خوارج هذا العصر، وهذا واضح من خلال جميع كتبه وأشرطته، ولذلك فإن من أخرج هذه النقول عن سياقها، أو حملها على غير مراد قائلها ؛ فقد أساء وتعدى وظلم .

ومن أشكلت عليه، فليرجع لمضانها، ولينظر أيضاً في كتاب دعوة المقاومة (الجزء الثاني، الفصل الثامن، آخر الباب الأول)، وفيه خلاصة لرأي الأستاذ في مسألة التكفير، والله وحده الهادي .

- يقول الشيخ المقدسي ــ سلمه الله ــ في (الثلاثينية) :" بين الله عز وجل بعض دوافع النفس وأهوائها، في الاندفاع نحو التكفير والتسرع فيه أحيانا، في قوله تعالى: " ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا"؛ فقال: "تبتغون عرض الحياة الدنيا"، وكذلك كانت رغبات أولئك الأغرار الذين كنت أناظر بعضهم، فقد كانوا يتحينون أسهل وأقرب فرصة لانتهاب أو سرقة ما يقع تحت أيديهم من أموال وممتلكات من حكموا عليهم بالكفر، حتى وإن كانوا من الدعاة والمجاهدين، أو من المسلمين المستضعفين، فأموالهم عندهم غنائم، وقد شاهدت من ذلك أمثلة، وفي آخر الأمر اقتتلوا هم فيما بينهم واختلفوا على بعض الأموال !! ".

- يقول الشيخ الزاهد العابد مصطفى أبو اليزيد (أمير قاعدة الجهاد في خراسان) ــرحمه اللهــ في لقائه مع أحمد زيدان :" ونحن نعتبر أنفسنا جماعة من جماعات الجهاد، ولسنا جماعة الخلافة والإمامة العظمى التي إذا خرج عليها خرج من الإسلام فنحن جماعة جهادية جزء من أمة الإسلام والذي يخرج منا أو يخرج علينا فليس هناك تكفير له ولا قتل ... نحن فعلاً نعتبر أن الذي يخرج علينا بدون عذر شرعي هو مرتكب معصية أو آثم لأنه يعني أخذنا العهد عليه أن يبقى معنا ويستمر معنا في الجهاد فإذا خرج بدون عذر شرعي فهو آثم في هذا الخروج، ولكنها معصية نرجو الله أن يغفر له ويرحمه، **ولكن أبداً لا نكفر ولا نقتل من يخرج عنّا** "[1].

(1) قناة الجزيرة، برنامج لقاء اليوم، 23/ 2009/06

- يقول الشيخ ميسرة الغريب _رحمه الله_ (الزرقاوي كما عرفته 3) :" وبُعَيْدَ مقتل أبي أنس رحمه الله بدأ احتكاكي الكثيف بكل الإخوة على اختلاف شرائحهم، وتنوع أطيافهم وأعمارهم؛ فالتقيتُ بأخٍ شاميٍّ دخل العراق جديداً وراح يسارِرني بأمر حدث معه خلاصته أنه التقى قبل الدخول بأخ من الجزيرة العربية في مضافةٍ من المضافات وأثناءَ الطعام استفسر المضيف -المنسق- الإخوةَ عن معتقدهم بابن باز وابن عثيمين فتبين له أن الأخ الذي من الجزيرة لا يكفرهما؛ فاستغرب المضيف من ذلك وعنف الأخ ونقل له عن الشيخ أبي مصعب أنه يكفرهما وأن من لا يكفرهما لا يدخل أرض الجهاد، فراح الأخ من الجزيرة بتعجب يقول: "يعني تمنعني من الدخول"؟ قال: نعم! وحقاً فعل ما توعَّده به فأرجعه من حيث أتى، لكنَّ الأخ الذي يحدثني خاف فلم يُفْصِح عن رأيه في القضية خشيةَ أن يُمْنَعَ هو كذلك من الدخول إلى بلد الجهاد والرباط وبوابة القدس بإذن الله تعالى.

وما لبثتُ أن رفعْتُ القضيةَ إلى شيخِنا رحمه الله -خاصة وأنه أوصاني أن أنقل له ما يحدث في الساحة خشية أن لا يتيسر لرعيته أن يوصلوا له بحكم اختفائه الأمني عنهم- فغضب غضباً شديداً وتوَعَّد الذي نقل على لسانه خلاف رأيه، وأمر نائبه أن يتحرى من الموضوع فإن ثبت على المضيف ذلك فسيُطْرَد من الجماعة، ثم قال لي الشيخ: صحيح أنني أراهما قد أضلا الأمة بفتاويهما لكني لا أكفرهما، ووالله لو أن الأخ الذي من الجزيرة لا يُكَفِّر "فهد" لما حَرَمْته من الجهاد، وقد دخل

العراق كثير ممن لا يكفر الحكومة السعودية ثم حين بُيِّنَت له الأدلة اقتنع بها لوضوحها[1]".

هذا ما تيسر لي إعداده، والحمد لله رب العالمين .

أبو مريم الأزدي

شوال / ١٤٣٥ هـ

(١) هذه هي ــوالله ــ أخلاق الكبار ! وهذا هو العلم والفهم.

يقول الشيخ عطية الله (لقاء الحسبة) :" مسألة تكفير هؤلاء الحكام (أعني أعيانهم وأشخاصهم) هي مسألة فتوى وقضاء، مبناها على الاجتهاد، فهي من العلم الذي سبيله النظر والاجتهاد والاستدلال، ولم تصل إلى حدّ العلم الضروري المقطوع به الذي يكفُر المخالف فيه. هذا إما في الكل أو في الأعم الأغلب. اللهم إلا أن توجد بعض الصور (بعض الحكام) ممن يكون كفرهم قد صار مقطوعاً به مما يقال إنه معلوم من الدين بالضرورة، ويجمِع الناس على كفره، لقوة وصراحة ووضوح واشتهار واستبانة كفره، فحينها نحكم على مَن لم يكفره بأنه كافرٌ. وأما غالب الموجود الآن من الحكام في الواقع فهو من النوع الذي ذكرناه، إما في نفس الأمر، أو بحسب ما يعرف أكثرُ الناس.

ثم هم (الحكام) درجات في وضوح كفرهم وصراحته واستبانته وقوة حكمنا به. ومَن يجعلهم في درجة واحدة ولا يفرّق، فإنه يكابر ويخالف بدهيّات العلم.! ولهذا فأنا عن نفسي قد أطلقت القول مراراً بأن مَن كان من أهل ليبيا ويعيش فيها، وبالتالي فهو يعرف القذافي جيدا، ولا يخفى عليه حاله، وكان من أهل العلم، ولاسيما ممن فتح الله عليه بمعرفة فقه الكتاب والسنة والهداية لطريق السلف، ثم لا يكفر القذافي بل يقول إنه حاكم مسلم وليّ أمرٍ شرعيّ تجب طاعته ويحرُم الخروج عليه، فإن هذا القائل عندي كافر خارج من ملة الإسلام، ولا كرامة، والعياذ بالله !

ويكفيني من القدوة والسلف في هذه المسألة فتاوى علمائنا وأئمتنا في خطباء بني عبيد الفاطميين، وذلك لقوة ظهور كفر القذافي عندنا، وانعدام العذر لمن لم يكفره ممن يعيش في بلده ويعرفه ويعرف حاله جيداً، ويعرُف مع ذلك العلمَ والفقه وليس بجاهلٍ. ولهذا لا نكفر عوامَّ الناس لعدم تكفيرهم للقذافي. أما من كان يعرف حاله جيداً وكان ممن عرفَ العلمَ والفقه، ثم لا يكفره، فهذا أحكمُ بكفره".